صباح الأنباري

ليلة انغلاق الزمن

مسرحيات صائتة

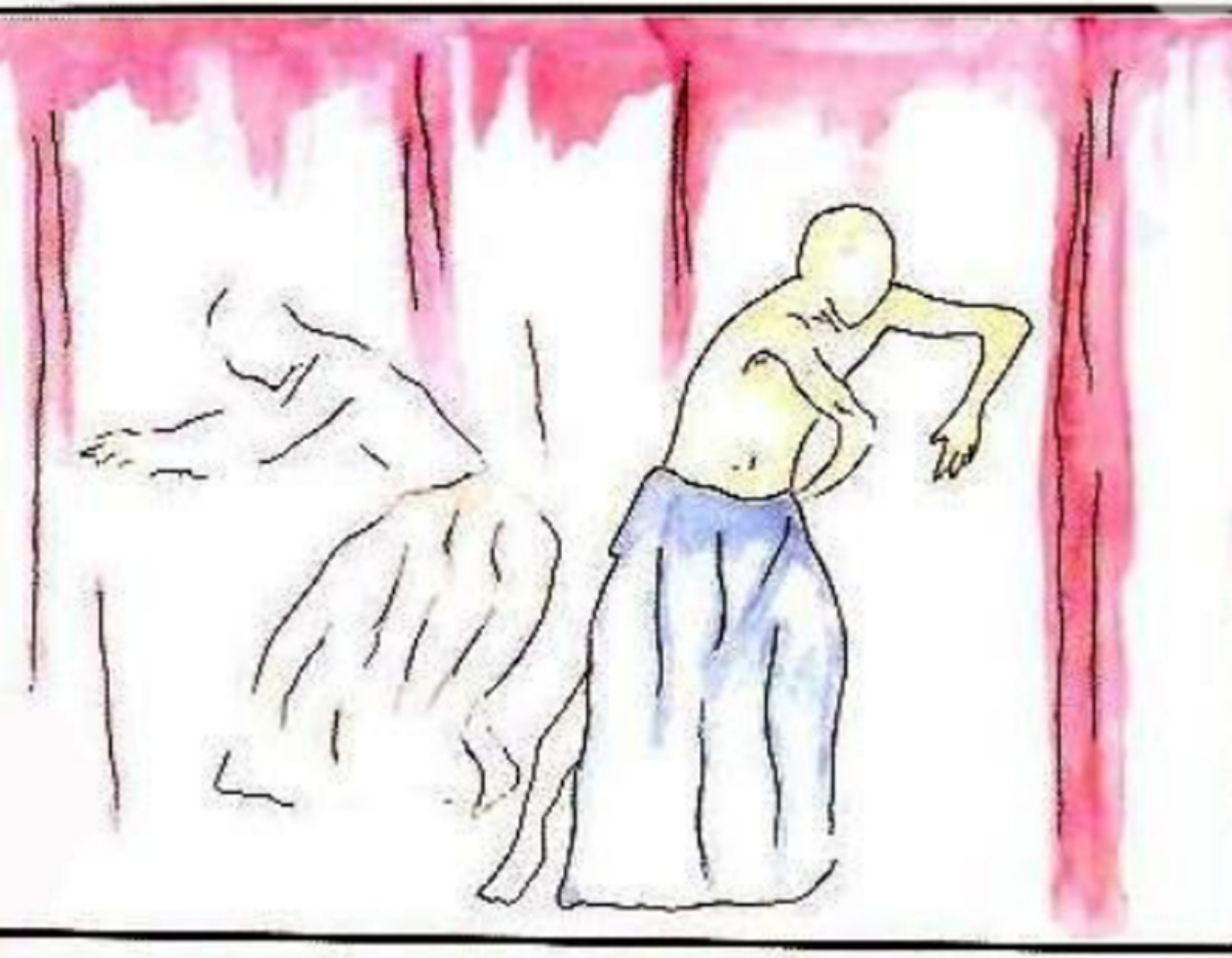

ليلة انغلاق الزمن

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: E-mail :unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

تصميم الغلاف للفنانة : سمر رمضان

❑❑

صباح الأنباري

ليلة انفلاق الزمن

* مسرحيات صائتة *

من منشورات اتحاد الكتّاب العرب
دمشق - 2001

-3-

مسـرحيـة

ليلــة انفــلاق الــزمن

شخوص المسرحية

1- صباح 45 سنة

2- الأنباري 70 سنة

3- منير 48 سنة

4- العبيدي 73 سنة

5- محي 57 سنة

6- زنكَنه 82 سنة

7- لميعه الناشئ

8- آزاد محي الدين

9- عادل كوركيس

10- مجيد مبارك

رجل1.. رجل2.. رجل3.. رجل4.. رجل5..

مذيع أو عريف حفل.. شرطي

تدور أحداث هذه المسرحية في مدينة بعقوبه عام 2022 .

[سماء مليئة بالنجوم.. تلتمع بعض الشهب بين لحظة وأخرى.. يستطيع جمهور النظارة رؤية الحشائش والزهور البرية رغم ظلام الليل .. على جانب المسرح الأيسر، أعلى اليسار، نصبت ركيزة لوحة رسم. وبالقرب منها، إلى وسط الوسط قليلاً، يرقد ثلاثة أشخاص.. موسيقى غرائبية وصفير قوي حاد يعلو شيئاً فشيئاً طاغياً على صوت الموسيقى.. ضوء خاطف، يشبه إلى حد م ، مذنباً سريعاً، يمر على الخلفية (السايك) قاطعاً إياها من الأعلى إلى الأسفل .. تتكرر صورة الضوء مكبرة مرتين أو ثلاثاً فيبدو الضوء لجمهور النظارة كما لو أنه العادم الخلفي لمركبة فضائية.. يصل إلى أسفل (السايك) يرتطم بالأرض.. يرتج المسرح، برهة، ثم يستقر.. موسيقى رعب.. يظهر رجل بملابس تشبه ملابس رجال الفضاء.. يتقدم نحو ركيزة الرسم.. يقف إلى جانبها.. يبدو كما لو أنه يتأملها فعلاً.. يتركها.. يتقدم نحو الراقدين الثلاثة.. ينطق، بصوت يشبه صوت الروبوت، بضع جمل غير مفهومة وإذ ينتهي يمسك ذراعي الأول ويجره إلى خارج المسرح.. يعود.. الصوت الروبوتي يستمر مع تقدمه نحو وسط الوسط.. يمسك بذراعي الثاني ويسحبه إلى خارج المسرح.. يفعل الشيء نفسه مع الثالث.. تختلط الموسقى بصوت هدير محرك كبير.. يرتج المسرح، برهة، ونرى على الخلفية الضوء نفسه طائراً محلقاً بسرعة خاطفة صوب النقطة التي هبط منها.. تتكرر صورته مصغرة مرتين أو ثلاثاً حتى يختفي في سمت السماء.. تخفت الإضاءة تدريجياً.. يعمّ الظلام فترة وجيزة ثم يضاء المسرح إضاءة تدريجية أيضاً.. الأشخاص الثلاثة لا يزالون على رقدتهم وكأن شيئاً لم يحدث..]

صباح : (يجلس مستيقظاً، متثائباً) هـ... آه.. (يقطع تثاؤبه) عجباً.. كيف غلبني النعاس؟ ترى كم من الوقت مضى وأنا مستغرق في النوم؟

منير : (وهو ما يزال ممدداً.. يتثاءب) هـ.. آه.. من يدري.. أنا الآخر كنت نائماً وكأني رقدت ربع قرن.

صباح : ربع قرن!

محيي : (وهو لا يزال ممدداً أيضاً) هـ.. آه.. ربما أكثر قليلاً.

صباح : وأكثر قليلاً!.. إذن لا بد أننا وقعنا تحت سطوة مؤثرٍ ما.

منير : كالخمرة مثلاً؟

صباح : لا.. لا.. يبدو لي أنه أقوى وأشدّ تأثيراً منها.. إنه كالنوم المغناطيسي لكنه ينطوي على إيحاءات غريبة تجعل الرؤية مشوشة.

منير : أي رؤية؟

صباح : رؤية ذلك الجسم الملتهب وهو يقترب من الأرض بسرعة هائلة...

منير : (مقاطعاً ومتسائلاً بسرعة) أهو الجسم الذي ارتطم بالأرض فاهتزت ومادت و...

صباح : (مكملاً بسرعة أيضاً) وسرعان ما اشرأب من داخله شبح بلا ملامح.

محيي : (يجلس مبتسماً) كل الأشباح بلا ملامح.

صباح : أعني ليس شبحاً آدمياً أو حيوانياً.. أو.. (يتوقف).. لا أدري.. إنه شبح حسب.. شبح سلط علينا من يده (متداركاً) بل.. بل من تحت أظفاره أشعة زرقاء جعلتنا نرقد رقدة عميقة، شعرنا، خلالها كما لو أن أجسادنا تطير في فراغ كوني فسيح وبسرعة هائلة.

محيي : يخيّل إليّ أن هذا هو ما رأيته أنا أيضاً..

منير : وأنا أيضاً.

صباح : (مستنتجاً) هذا يعني أننا، نحن الثلاثة، قد حلمنا.. أوتوهمنا.. أو رأينا ذلك الشيء ، فعلاً، في آن واحد.. وأن علينا أن نتأكد من كونه وهماً، أو حلماً، أو واقعاً.

منير : وما السبيل إلى ذلك؟.. أعني كيف نثبت هذا أو ننفي ذاك.

محيي : أعتقد أن غرائبيته وتوافقيته كفيلتان بإبعاده عن مسار الواقع وهذا يرجح كونه وهماً.. وهماً حسب.

صباح : هذا إذا كان أحدنا قد توهّم ذلك وحده.. أما وقد رأيناه نحن الثلاثة، في آن واحد فهذا يعني أن ما حدث كان واقعاً.. لا وهماً.. ولا حلماً..

محيي : افترض أنه كان واقعاً.. ماذا يترتب علينا في ظرف واقع كهذا؟

صباح : أن نبحث عن أدلة مادية ملموسة.

محيي : لا سبيل إلى ذلك ما دمنا قد نمنا متأثرين بتلك الأشعة الزرقاء.

صباح : ماذا؟ أقلت متأثرين بالأشعة الزرقاء؟

محيي : نعم.

صباح : هل تعني أن للأشعة الزرقاء وجوداً حقيقياً؟

محيي : سواء أكان لها أم لم يكن فإن بإمكان من استخدمها أن يؤثر فينا بطرق مختلفة.

صباح : ولكننا لم نتأثر بشيء.. فها نحن أولاء كما كنا وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق.

محيي : وما أدراك.. قد نتأثر فيما بعد.

صباح : لا أعتقد.

محيي : إذن، لنقل أن الأمر كله كان مجرد وهم حدث مصادفة...

منير : (مكملاً) وثمة مصادفات في الواقع أكثر غرابة من هذا.

صباح : صحيح.. ولكن أن تحدث تلك المصادفة معنا فهذا أمر غير قابل للتصديق.. لأننا، بعد أخذ كل شيء بنظر الاعتبار، لا نقتنع بهذه البساطة.

محيي : حسن.. إذن اقترح أن نترك هذا الأمر لك لتبحث فيه بالطريقة التي تريد.. ولا أشك في أن فكرته بدأت تستأثر باهتمامك وربما تحوّلت على يديك إلى مسرحية من الخيال العلمي.

صباح : صحيح.. ولكن ليس قبل أن أتوصل إلى حقيقة ما حدث.

محيي : ليكن.. لك ما تريد (ينظر إلى ساعته) ياه.. لقد تأخر الوقت كثيراً.. لنعد حالاً.. هيا.. هيا انهضا (يسير إلى إحدى الجهات يبحث عن الطريق.. يفاجأ باختفائها) أين الطريق!؟

صباح : (ناهضاً) ماذا تقصد بأين الطريق؟

محيي : أقصد أن الطريق قد اختفت.

منير : (يقترب منها) ماذا !؟ هل اختفت حقاً؟

محيي : ما أغرب ما يحدث الليلة.

صباح : انظرا إلى ما هو أكثر غرابة .. النباتات تغطي كل شبر هنا مع أنها لم تكن موجودة ساعة وصولنا.

منير : صحيح.. لم تكن النباتات بهذه الكثافة .. كيف نمت واستطالت بهذه السرعة العجيبة ؟!

محيي : أكاد أجزم أن للنباتات علاقة بما حدث لنا ونحن نيام.

صباح : هل تعني أننا وقعنا تحت تأثيرها؟

محيي : بل إنها وقعت معنا تحت تأثير قوة غامضة.

صباح : لكن ما حدث لها مختلف عما حدث لنا.

محيي : كيف؟

صباح : ألا ترى أنها تأثرت بشكل مادي مباشر وملموس.. أعني نموها وكثافتها.. بينما لم يؤثر ذلك علينا إلا بما جعل الوهم والواقع يختلطان، قليلاً، في أذهاننا.

منير : يبدو لي أن نمو النباتات، بهذه الطريقة، مرتبط بالأشعة الزرقاء أيضاً (يتركهما متجهاً إلى لوحته).

صباح : لا أظن.. فالمجهول الذي رأيناه لم يسلط الأشعة الزرقاء على النباتات.. لقد سلطها علينا.. علينا مباشرة.

محيي : إن تكن النباتات قد تأثرت بالأشعة، فعلاً، فهذا يعني أننا رقدنا زمناً طويلاً.. طويلاً جداً.

صباح : ليس إلى هذا الحد.. ألا ترى أن الليلة لم تنقضِ بعد؟

محيي : كيف تفسر هذا إذن.. إذا كانت النباتات لم تبلغ، ساعة وصولنا، سوى بضعة سنتيمترات.. ما الذي جعلها تبلغ كل هذا الطول وهذه الكثافة في ظرف ساعة واحدة أو ساعتين أو حتى ثلاث ساعات.

صباح : هل يعني هذا أننا نتوهم حدوث الأشياء ؟.. و...

منير : (مقاطعاً) تعالا إلى هنا حالاً (يقتربان منه وهو لا يزال محدقاً في اللوحة) انظرا إلى لوحتي (ينظران.. يدققان النظر) هذا هو طول النباتات التي رسمتها قبلما تغرب الشمس بقليل.

صباح : (إلى محي) يبدو أن ما قلته عن نمو النباتات وطولها حقيقة واقعة لا وهم.. ولا حلم (بتأكيد وهو يشير إلى اللوحة) هذا هو طولها ساعة وصولنا فعلاً.. ولكننا مع ذلك لا نستطيع أخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار بسبب واحد هو أن ليلتنا لم تنقضِ بعد.

منير : انظرا إلى هذه الطريق النيسمية التي هنا (يشير إلى اللوحة) ألا يمكننا سلوكها..

محيي : يمكننا ولكن أين هي الآن؟

منير : هناك (يشير إلى الجهة المقابلة. ينتقل إلى الجهة التي أشار إليها.

يتوقف) يا إلهي لقد غطتها النباتات هي الأخرى.

صباح : (بمرارة) الله.. الله.. نحن الآن بلا طريق (إلى محي) ماذا سنفعل؟

محيي : (بحسم) نسير.

صباح : نسير؟! نسير إلى أين؟

محيي : إلى بعقوبه طبعاً.

صباح : هه.. هل جربتما السير فوق أرض مثل هذه.

منير : كلا ولكنني سأسير فوقها متحدياً عوقي.

صباح : وصليبك هذا (يشير إلى ركيزة الرسم) هل ستجره أم تحمله على كتفك من مكان إلى آخر؟

منير : بل سأتركه هنا حتى صباح الغد.

صباح : هذا أفضل.

منير : حسن هيا..

[يسيرون.. تتحرك باتجاه معاكس لسيرهم على الشاشة صور المناطق التي يمرون بها.. يتوقفون أحياناً ويشيرون، باستغراب، أحياناً إلى اتجاه ما ثم يغذون السير ثانية.. يصلون المدينة.. تتصاعد إلى السماء، منفجرة ومنتشرة، بتشكيلات جميلة زاهية، أضواء الكرنفال متزامنة مع أصوات الموسيقى.. نرى بعض المارة بملابس زاهية، وألوان جذابة فرحين مرحين وهم يتوجهون إلى مركز الاحتفالات.. بعضهم متماسك بالأيدي يؤدي رقصة شعبية.. بعضهم يغني...]

محيي : (بتعجب) عندما غادرنا بعقوبة في أول الليل، لم يكن الناس مهيئين لهذه الضجة الباذخة.

منير : كيف استطاعوا تحضير كل هذا في بضع ساعات.

صباح : ما يدهشني أن بعقوبه قد تغيرت بسرعة لا تصدق حتى أكاد أشك أنني الآن فيها.. انظرا إلى هذه البنايات.. لم تكن مطلية بهذه الألوان في أول الليل فبأي سرعة تمَّ طلاؤها؟! وهذه الأضواء والكشافات واللافتات متى نصبت ومن نصبها.. نحتاج ليومين كاملين من العمل المضني لنكمل كل هذا.

محيي : (معلقاً) وكل هذا من أجل من؟

صباح : هه (ممازحاً) ربما من أجلك أنت.

محيي : من أنا حتى يقيموا الدنيا ويقعدوها من أجلي.

صباح : دعنا من تواضعك هذا يا أستاذ.

محيي : (بتأنيب) صباح...

صباح : أعرف.. ولكن لن أخفي حقيقة كونك كاتباً مسرحياً كبيراً شهدت له المسارح عروضاً متميزة.. كاتباً نشر وطبع الكثير وما زال الكثير من مخطوطاته يثقل رفوف مكتبته بانتظار أن يرى النور يوماً ما.

محيي : صباح..

صباح : أنت ثروة كبيرة يا أستاذ.. وهذه حقيقة يعرفها حتى هؤلاء (يشيرون إلى جهة غير محددة) أنسيت أنهم اتصلوا بك مرات ومرات طالبين موافقتك على إقامة كرنفال للمبدعين باسمك ورفضت؟.. أنسيت أنهم أرادوا الاحتفاء بك على هذه الطريقة الباذخة (يشير إلى مظاهر البذخ التي أمامه) ورفضت.

محيي : لماذا؟

صباح : لأنهم أرادوا أن يتظاهروا، أمام العالم، أنهم مهتمون بك.. ثم أنهم يعرفون حق المعرفة أنك كالشمس لا يمكن حجب نورها بغربال.. لهذا يجدون أنفسهم مرغمين على قبول هذه الحقيقة والاعتراف بها على كل ما فيها من غصة ومرارة.

محيي : إنهم ليسوا من النمط الذي يستسلم بالسهولة التي تتصور.

صباح : صحيح.. لكنهم يعترفون بالحقيقة حتى يتمكنوا من تغيير أوجهها.

محيي : مع ذلك لم أرفض طلبهم.

صباح : اقترحتَ أن يصار إلى طبع مؤلفات المبدع بدل هذه الضجة المكلفة ولكنهم تجاهلوا الاقتراح.

محيي : من مصلحتهم أن يتجاهلوا.

صباح : (بشيء من الغضب) ومن مصلحتك أن تتواضع.

محيي : (بحدة وحسم) صباح.. ما هذا الكلام.. لم أعهدك تحدثني بهذه الطريقة.

صباح : آسف.. آسف جداً.. أنت تعرف كم أحبك وأجلك وأريد أن...

محيي : (مقاطعاً) أعرف.

صباح : والله.. لو استطعت أن أقيم الدنيا وأقعدها من أجلك لفعلت.. صدقني.

محيي : أنا أعرف حقيقة مشاعرك فدعك من هذا الغزل.

صباح : (بإصرار) هذا ليس غزلاً.

محيي : لنسمهِ إذن محبة وصداقة، هل هذا يرضيك؟

صباح : نعم.. شرط أن تتخلى عن بعض تواضعك.

محيي : حسن.. سأحاول.

منير : (لأحد المارة) من فضلك يا أخي (يتوقف الرجل. منير يقترب منه. يسأله) لم كل هذه الضجة؟

رجل1 : ألا تعرف (يشير له منير علامة النفي) هل أنت غريب؟

منير : لا.. لست غريباً.

رجل1 : المدينة.. كل المدينة تحتفل اليوم احتفالاً تقليدياً.

منير : احتفالاً تقليدياً!.. أويعقل هذا؟

رجل1 : ولم لا؟

منير : لأنني أعرف احتفالاتنا التقليدية وأحفظ تواريخها.

رجل1 : ربما نسيت هذه المرة.. أو خانتك الذاكرة.

منير : لم أنس ولم تخني الذاكرة.

محيي : (متدخلاً) يا أخ.. هلا أخبرتنا شيئاً عن طبيعة هذا الاحتفال.

رجل1 : هو يوم الاحتفاء بالمبدعين.

صباح : (متعجباً) ما أغرب أحداث هذه الليلة العجيبة (يكرر بشكل آلي) يوم الاحتفاء بالمبدعين.. متى صار للمبدعين يوم؟

رجل1 : (بتأكيد) أنتم غرباء.

صباح : (محتداً) بل أنتم الغرباء.

رجل1 : إذن.. كفوا عن مضايقتنا بأسئلتكم الغريبة.. اتركونا وشأننا (يتركهم مغادراً).

صباح : (في أثر الرجل) ولكن يا.. يا.. (يبتعد رجل1 عنهم باستياء وغضب) ماذا يحدث؟.. أنا لا أفهم مما يحدث الليلة شيئاً.. أرى وأحلم وأتوهم في آن واحد.. يا إلهي ما هذه الفوضى.. أنا لم أعهد نفسي مشوشاً مثلما أنا الآن.

محيي : خذ الأمر ببساطة وتأكد من حقيقة ما ترى.

صباح : كيف وأنا أرى أمامي، كل هذا يحدث بسرعة غير طبيعية.. ثم لماذا يحدث معنا بالذات كما لو كنا مقصودين به دون غيرنا.

محيي : ربما بسبب (يمر من أمامه رجل2 فيقطع حديثه ويتوجه إليه) لو سمحت يا أخ.

رجل2 : نعم.. تفضل.

محيي : ثمة سؤال لو سمحت.. هذه الضجة الكبيرة الباذخة (يمتعض وجه الرجل حال سماعه كلمة ضجة) عفواً.. أعني هذا الكرنفال.. في أي عام قررتم إقامته أول مرة؟

رجل2 : عام 1997.

محيي : يعني هذا العام.

رجل2 : (باستغراب) ماذا تعني بهذا العام!! نحن الآن في عام 2022.

محيي : (مندهشاً) ماذا قلت؟! 2022 بماذا تخرف يا رجل؟

رجل2 : أرجوك.. أنا لا أخرف (يغادر مستاءاً غاضباً هو الآخر).

صباح : هل صدقتما، الآن، أن شيئاً غريباً يحدث.

محيي : أنت على حق.. انظرا إلى هناك (يشير بيده) عام 2022 مكتوبة بالأضواء الملونة على تلك البناية.. وتحتها مباشرة 28 آذار يوم الاحتفاء بالمبدعين.

صباح : أرجوكما تنحيا جانباً ودعاني أستفسر بنفسي هذه المرة.

الاثنان : تفضل.

صباح : (لأحد المارة) أنت يا أخ (يقترب منه) سؤال لو سمحت.

رجل3 : تفضل.

صباح : من أجل من هذا الكرنفال.

رجل3 : من أجل المبدعين طبعاً.

صباح : أعرف.. أعرف أنه من أجل المبدعين.. ولكن من منهم على وجه التحديد؟

رجل3 : اثنان فقط لهذا العام.. الأول هو الكاتب المسرحي الكبير محي الدين حميد زنكَنة.. والثاني هو الفنان التشكيلي المبدع منير العبيدي.

صباح : ماذا ؟! من !! هل هذه مزحة أم نكتة ؟ (رجل 3 لا يحير جواباً) إعلم يا.. يا هذا.. إنها نكتة باهتة جداً (إلى منير ومحي) هل سمعتما ما قال.. إنهم يحتفون بكما.

رجل3 : أمر غريب.. غريب جداً.. كيف تسمح لنفسك تشبيه هذين السيدين

بأكبر مبدعينا؟

صباح : مبدعيكم؟.. تقولها هكذا بكل بساطة.. اسمع (بتهكم) هل سبق لك أن رأيت محي الدين زنكَنة أو منير العبيدي؟

رجل3 : (يضحك).

صباح : مم تضحك؟

رجل3 : من سؤالك.

صباح : سؤالي؟.. ما به؟

رجل3 : اغرب منك.

صباح : لا تجعلني أفقد تهذيبي.

رجل3 : وتهددني أيضاً؟.. هل تعرف من أنا؟

صباح : (باستصغار ولا مبالاة) لا يهمني من أنت.

رجل3 : أنا أمين شؤون المحافظة والمشرف على كرنفالاتها.. و

صباح : اعتقدت...

رجل3 : (مقاطعاً بحدة وغضب) أعتقد كما يحلو لك.. ولكن لا تسيء لأحد في يوم كهذا لقد أصدرت أمري لأمين الهيئة العليا لحرس المحافظة وهو أمر مشدد جداً.. لن أسمح لأي كان أن يعكّر صفو الناس في يوم كهذا.. هل فهمت (يغادر غاضباً)

صباح : (يردد مع نفسه بتعجب) أمين شؤون المحافظة وأمين الهيئة العليا لحرس المحافظة.. عجباً (إلى محي ومنير) هل سمعتما بأسماء مناصب مثل هذه (يشيران بالنفي ثم إلى نفسه) يريدني أن أفهم (صمت).. كيف ؟!.. الذي أفهمه هو أن محي الدين زنكَنة رفض أن يحتفوا به عندما طلبوا منه ذلك.. رفض بإصرار.. ولكنهم مع ذلك يحتفون به ، الآن، رغم أنفه.

محيي : اطمئن.. لن يستطيع أحد إجباري على حضور حفلهم الزائف.. لن نحضر حفلهم مهما حدث.. اتفقنا؟

منير وصباح : اتفقنا.

رجل4 : (يمر بالقرب منهم. يتوقف فجأة إذ يرى صباحاً يقترب منه. يحملق في وجهه. يدور حوله بتعجب) أنت يا سيدي.. هل يمكنني طرح سؤال عليك.

صباح : وماذا وراءنا في ليلة كهذه.. اطرح.

رجل4 : (بعد أن يعيد التدقيق في وجهه) هل أنت شقيق أستاذنا الأنباري.

صباح : (مستفزاً) أستاذكم الأنباري ؟!.. الأنباري من؟

رجل4 : صباح.. صباح الأنباري.

صباح : أنا شقيق صباح الأنباري! هه.. ها ها ها هاه (يتوقف فجأة عن الضحك) ماذا جرى لعقلك يا رجل !.. كيف يكون المرء نفسه شقيقاً لنفسه.

رجل4 : (لا يفهم) عفواً أستاذي لم أفهم ما تقول.

صباح : ولن تفهم أبداً.

رجل4 : أنا لم أطرح سؤالاً صعباً أو غريباً أو معقداً.. فقط أردت أن أعرف أن كنت شقيقاً لأستاذنا الأنباري أم لا؟

صباح : ولماذا أنا بالذات؟

رجل4 : لأنك تشبهه كثيراً (كمن يفطن لشيء) آ.. معذرة.. يا لي من غبي.. كيف ارتكبت مثل هذه الهفوة.. اعذرني يا سيدي.

صباح : أعذرك؟.. لماذا؟

رجل4 : لأنني اعتقدتك شقيق الأنباري.

صباح : (بارتياح) حسناً.

رجل4 : كان عليّ أن أعرف منذ البداية.

صباح : تعرف ماذا؟

رجل4 : أعرف أنك ابن الأنباري وليس شقيقه.

صباح : (باستياء) أنا ابن الأنباري.. هاهاها.. (يقطع ضحكته) أنت تهرف بما لا تعرف.

محيي : (الذي كان مشدوداً لحديث رجل4) مهلاً.. مهلاً صباح.. دعني أسأل هذا السيد سؤالاً واحداً.

صباح : (بتلميح مقصود) تريد أن تتأكد من حقيقة ما ترى.

محيي : (غير مهتم بتلميحاته) بالضبط.

صباح : إذن تفضل.. لنرى إلى أين تذهب بنا معرفة ما نرى.

محيي : عفواً أيها السيد.. هل يمكنك إخباري كم يبلغ عمر أستاذكم الأنباري الآن.

رجل4 : بكل سرور.. سبعون عاماً.

صباح : هاهاهاهاه (يقلده) سبعون عاماً.. اسمعتما.. سبعون عاماً هاهاهاها (رجل 4 يحتار. لا يفهم لم يضحك صباح:. يبتعد محي قليلاً وهو يتمتم مع نفسه)

محيي : سبعون عاماً.. هذا يعني، إذا كان ما يدّعونه صحيحاً، وأننا في عام 2022 بدل عام 1997.. فهذا يعني إن فارق العمر بين صباح وشبيهه خمسة وعشرون عاماً.. إذن الرجل على حق.

صباح : (متابعاً محي باهتمام) عن أي حق تتحدث؟

محيي : عن فارق العمر بينك وبين شبيهك.

صباح : (ضجراً) شبيهي؟! هه.. هل انتقلت إليك العدوى؟.. عدوى هذا الرجل فالتبست عليك الأمور؟

رجل4 : (مدافعاً) لم تلتبس الأمور علينا يا سيدي.

صباح : لا أستغرب منك قول هذا.. كما لا أستغرب أن تقول ، بعد قليل، إن هذا هو شبيه محي الدين زنكَنة وإن هذا شبيه منير العبيدي.

رجل4 : بصراحة.. هذا هو ما أردت قوله بالضبط.

صباح : (منتصراً لنفسه) أترون (بتأكيد) هذا هو ما أراد قوله بالضبط.

منير : (يقترب منه) ماذا تروم من تأكيدك هذا؟

صباح : إلى مسألة مهمة يبدو لي أنها مفتاح الغموض في هذه القضية.

منير : كيف؟

صباح : سأوضح لك ذلك.. ولكن ليس قبل أن نحضر الحفل.

منير : ولكننا اتفقنا على عدم الحضور.

صباح : سنلغي ذلك الاتفاق الآن (إلى رجل 4 الذي لا يزال واقفاً منتظراً) من فضلك يا أخ.. في أي موقع تحتفلون؟

رجل4 : في قصر أشنونه للثقافة والفنون (يشير جهة القصر) هناك.

صباح : إذن.. إلى هناك.. هيا

محيي : لحظة من فضلك.. الفارق لا يزال يقلقني.

صباح : أي فارق؟

محيي : فارق العمر بينك وبين شبيهك.

صباح : شبيهي مرة أخرى.. ماذا جرى لك يا أستاذ؟

محيي : افترض أن الأمر كان حقيقة قائمة فماذا يعني هذا؟

صباح : أجب أنت ، لو سمحت ، وأرحنا.

محيي : يعني أننا متأخرون عنهم خمسة وعشرون عاماً.. يعني أن هذه التغييرات، كلها، ثمرة خمسة وعشرين عاماً.

صباح : لا تطلق العنان لخيالك أكثر من الحد المعقول فتزيدنا تشويشاً (يقترب منه) لو أن هذا حدث في خمسة وعشرين عاماً، كما تفضلت، فهذا يعني أيضاً، أن أعمارنا قد تقدمت بنا خمسة وعشرين عاماً أيضاً.. وأن عمري، حصراً، سيكون سبعين عاماً مع أنني لم أتجاوز الخامسة والأربعين بعد.. ومع ذلك أقول لك لا تقلق سأجد التفسير الدقيق لكل هذا.. ولكن ليس قبل أن نحضر الحفل.

منير : (إلى محي) لعل صباح على حق لنذهب إلى الحفل ونرى.

محيي : حسن.. لنذهب.. هيا (تطفأ الأضواء. يظلم المسرح).

*

[في قصر أشنونة للثقافة والفنون يشق الثلاثة طريقهم وسط الزحام.. يوقفهم رجل التشريفات وهو رجل 5...]

رجل 5 : (بملابس الحفل الرسمية) هل حضراتكم من المدعوين؟

منير : لا

رجل5 : آسف.. لا يحق لغير المدعوين حضور الحفل الخاص

منير : هل تعني انكم تقيمون حفلين منفصلين؟

رجل5 : نعم.

منير : لماذا؟

رجل5 : لانه لا توجد في بعقوبه كلها قاعة تستوعب اعداد الوافدين من داخل القطر وخارجه.. لهذا أنا أعتذر اليكم.. وأرجوكم أن تتركوا القاعة حالا (يتصنع تأمل وجه منير) ولكن مهلا.. مهلا.. أرجو أن لا أكون قد أخفقت في معرفتكم.

منير : أخفقت في معرفتنا؟

رجل5 : نعم (يتصنع النظر الى وجه منير بدقة) نعم.. اعذروني.. لم أنتبه الى

كونكم من ذوي المبدعين.

منير : (بسخرية) نحن! (يلكزه صباح خفية فينتبه للأمر) آ.. طبعا.. طبعا

رجل 5 : أدعوكم لأخذ محلاتكم في الصف الأول.

منير : شكراً لك (الى صباح ومحي) هيا الى الصفوف الأولى يا أساتذة (يشقون طريقهم الى الصف الأول. يظهر المذيع أو عريف الحفل أمام الستارة أو يسمع صوته، فقط عبر مكبّر الصوت).

عريف الحفل : أيها السيدات والسادة.. أرحب بكم أجمل ترحيب في حفلنا الخاص هذا وأعلن باسم محافظتنا وباسم السيد ممثل السيد رئيس الأمانة العامة للثقافة والفنون عن بدء الحفل بعزف أوركسترالي لمعزوفة ألق المبدعين للفرق السيمفونية المحلية لمدينة بعقوبه (تفتح الستارة على الفرقة السيمفونية أثناء حديث عريف الحفل. يصفق الجمهور للفرقة حتى تبدأ بالعزف. واذ تنتهي المعزوفة يحيي المايسترو الجمهور بينما تستدل الستارة.. إضاءة مركزة على عريف الحفل في جانب المسرح.

عريف الحفل : أيها السيدات والسادة.. جرياً على العادة سيكون أستاذنا الأنباري رئيساً لجلسة هذا المساء فلنصفق له جميعا (يصفقون فترة واذ ينتهون تفتح الستارة بحركة متزامنة مع الموسيقى. اضاءة مركزة على وسط المسرح. يظهر الأنباري وهو يرتقي درجات السلم من الخلف. يتوقف في أعلى السلم ينحني للجمهور ثلاث مرات في ثلاثة اتجاهات ثم ينزل السلم الأمامي متوجهاً الى منضدة أنيقة ثبتت عليها أجهزة صوتية مختلفة يقف الجمهور مصفقاً تصفيقاً شديداً ومنغماً . يجلس الأنباري ويهيئ بعض الأوراق. إضاءة مركزة على الصف الأول).

منير : توقعت أشياء كثيرة ولم أتوقع هذا.

صباح : أما أنا فقد توقعت أكثر من هذا.

محيي : أنت مقتنع، حتى هذه اللحظة، أنهم سيقدمون عرضاً درامياً على طريقة بيراندللو.

صباح : صحيح.. صحيح جداً.

محيي : وتفكر أيضاً أن نكون نحن من المشتركين في أداء العرض.

صباح : هائل.

محيي : ولكنهم لن يقدموا أي عرض.

صباح : دعني أسألك سؤالاً واحداً باعتبارك كاتباً وخبيراً درامياً.. ألا يصلح ما

قدموه، الآن، كاستهلال لعرض غير تقليدي.

محيي : نعم ولا.

صباح : يعني أن كلا الاحتمالين وارد حتى هذه اللحظة.

محيي : نعم.

منير : سواء حدث هذا أم ذاك لن أكون ممثلاً في هذه الدراما أو أي دراما غيرها.. ثم على أي شيء أسست أفكارك واحتمالاتك الفظيعة هذه.

صباح : على أساس الواقع الملموس.

منير : كيف؟

صباح : أراد المخرج أن يزجّ بنا، نحن الشخصيات الحقيقية، في عمله الدرامي بدل ممثلين مسخرين لهذه المهمة.. يدخلون،عادة، في صراع مع الشخصيات المزيفة.

منير : لو أن المخرج أراد هذا حقاً لاختار شخصيات مناظرة لشخصياتنا.. هكذا هو بيراندللو (الى محيي) أليس كذلك؟

محيي : ثمة لكل مخرج وجهة نظر خاصة به.. وانا أكاد أجزم ، إذا كان احتمال العرض لا يزال قائما، ان هذا المخرج يتواصل مع بيراندللو من هذه الناحية ويفرض القطيعة عنه من ناحية أخرى.

منير : مع ذلك لم يتصل بنا المخرج ولا غيره لإعلامنا بما ينوي فعله في هذه الدراما.

صباح : كيف يتصل بنا وهو يخطط لخداعنا؟

منير : لم أفهم.

صباح : إذن سأكشف لك السر.

منير : أي سر.

صباح : سر التقائنا، قبل قليل، بشخصيات مسخّرة لخداعنا كما في مسرحية بيراندللو (لكل شيخ طريقة).

منير : تقصد رجل 1، و رجل 2، و رجل 3؟

محيي : (مكملا) ورجل 4، ورجل 5 أيضا.. لقد درّب هؤلاء، جميعا، ليجعلوا الخدعة تنطلي علينا خاصة وهم يعرفون أننا مطّلعون على طريقة بيراندللو.

منير : إذن علينا إبطال خدعته بأي وسيلة.

محيي : أؤيدك في هذا (إلى صباح) أنت تعرف، أكثر من غيرك، أني لا أوافق على مداهمتي بأفكار مثل هذه على الاطلاق.

صباح : دعونا نفكر في هذا لاحقاً.. لنسمع ونر ما سيفعله صاحبهم الأنباري.

محيي : حسنا.. بدأت تهتم بغريمك..لا بأس.. لنسمع ونرَ (يطفأ الضوء على الصف الأول).

الأنباري : (تفتح الإضاءة عليه أو يصار إلى إيقاف حركته عندما يتحول الحوار إلى الصف الأول ثم تعود الحركة كلما حان دوره) أيها السادة.. أيها الأخوة والأخوات.. مساؤكم سعيد.

صباح : عجبا.. إنه يبدأ الحديث مثلما أفعل أنا في الأمسيات الأدبية.

محيي : والأعجب أنك تشبهه.

صباح : (معترضاً) بل هو الذي يشبهني.

منير : (محدقاً في الأنباري) يا لعمل الماكيير البارع.

صباح : لا أظن هذا من عمل الماكيير.

منير : من عمل من إذن؟

صباح : المخرج.. لقد بحث المخرج عمن يشبهني قليلا حتى وجد هذا (يشير إلى الأنباري)

الأنباري : (مواصلا حديثه السابق) ها نحن نلتقي ثانية بأديب كبير، وعلم بارز من اعلام الأدب العراقي، ورمز واضح من رموز ثقافتنا، وصرح شامخ من صروح مسرحنا العراقي والعربي.. محي الدين حميد زنكنة. الصديق والأستاذ والروائي والدرامي والقاص.

محيي : يصعب التمييز بين اسلوبك وأسلوبه في الكلام.. كأنكما واحد الفرق الوحيد بينكما هو أنك أكثر شباباً.

منير : استطيع الجزم، كفنان تشكيلي، على أن شكلك، بعد خمسة وعشرين عاما سيكون كشكله تماما.

صباح : ولكن سأبدو، حينها أيضاً، أقل عمراً.

منير : هو أيضا يبدو أقل عمراً.. أنظر إليه.. أهذه هيأة رجل في السبعين؟

صباح : تأكيداتك تشوشني كثيراً وتجعلني أكثر شكّاً فيه (يشير إلى الأنباري)

الأنباري : (يواصل حديثه) كما نحتفي بعلم من اعلام الفن التشكيلي العراقي

الحديث... فنان دأب على أن يلتقط من الطبيعة الجميلة لمحافظتنا أجمل ما تراه عيناه الخبيرتان المدربتان.. فعكس في لوحاته سحر ليمونها، وعنفوان نخيلها، وألق بساتينها، وزهو انهارها، وايقاع ألوانها المتدفق في رحلة الفصول.. أيها الأصدقاء.. اسمحوا لي أن أدعو باسمكم جميعا، المبدعين الكبيرين محي الدين زنكنة، ومنير العبيدي.. فليتفضلا (تظهر النجوم المتألقة على الخلفية (السايك).. تتغير الإضاءة، وتتغير الألوان، وترتفع الموسيقى مع هبوط محي الدين زنكنة، ومنير العبيدي من سماء المسرح على نجمتين مشعّتين من يسار المسرح ويمينه. يعلو التصفيق الموقّع فترة طويلة. ينحني كلا المبدعين لجمهور النظارة ثم يأخذان محلهما ألى جانبي الأنباري).

صباح : (الى منير بشيء من التهكم والاستفزاز) باعتبارك فنانا تشكيليا.. ماذا ستقول عن شكلي هذين الرجلين؟

منير : (ساهما) ما أعجب ما أرى!

صباح : ماذا ترى؟

منير : لا شيء على وجه الدقة.

صباح : لم أفهم.

منير : ألم تقل أنك كنت ترى أشياء لم ترها.. تتوهمها، أو تتخيلها، أو تلمسها في واقع الحياة أو.. أو هي واقع ووهم.

صباح : نعم.. قلت شيئاً من هذا القبيل ولكن ليس بالضبط.

منير : أنا مثلك الآن .. أرى ولا أرى.

صباح : كيف؟

منير : عندما يغلف الغموض جوانب موضوع ما.. تذوب الفواصل بين ما يرى وما لا يرى.

صباح : (الى محي) وما ترى أنت يا.. (يتوقف اذ يجد محي ساهماً هو الآخر فينبهه) هل أدهشك شبيهك إلى هذا الحد؟

محيي : بل أدهشتني حيويته وهو بهذا العمر.. أفكر لو أنني عمرّت حتى الثمانين هل سأتمتع بمثل نشاطه وحيويته.

منير : بكل تأكيد فأنتما واحد.

صباح : لا يمكن أن يكونا واحداً.

منير : لماذا؟

صباح : لسبب مهم.. هو أن زنكنة الحقيقي لن يوافق على كل هذا البذخ.

زنكنة : أشكركم جميعاً على ما بذلتموه من اجل أن يكون هذا الحفل لائقاً وجميلاً.. كما أشكر كل من عمل بدأب ليكون عرض مسرحيتي الأخيرة (دم على أرصفة كاورباغي) عرضاً مميزاً (تصفيق).

العبيدي : طوبى لكم جميعا.. طوبى لشعاركم الرائع (مزيدا من الحب.. مزيدا من المسرة.. مزيدا من الإبداع، وشكرا للصديق الأنباري الذي هيّأ لكم عرضاً مسرحياً كان قد استوحى مادته من لوحة زيتية لي تحت عنوان (زهور وعقارب) إلى جانب عرضه الأول لمسرحية زنكنة (دم على أرصفة كاورباغي).

منير : لقد نفد صبري.. كيف يزعم أن اللّوحة لوحته وهي تحمل توقيعي أنا.. يجب أن نوقف هذه المهزلة ونقاضي هذا الرجل (يشير إلى العبيديّ).

محيي : صبرك يا منير.. تدخّلك هذا يعني قبولك تمثيل الدور.

منير : تمثيل أم غير تمثيل لن أدعهم يسرقونني وأنا حي.

صباح : وأنا أيضاً

محيي : يبدوا أن المخرج بدأ يحقق بعض النجاح في إرغامنا على المشاركة في لعبته.

منير : (الى محي) يقدمون مسرحيتك الأخيرة وأنت جالس هنا لا تحرك ساكنا.. ألا يهمك أمرها.. أتوافق على أن تسرق بهذه الطريقة؟

محيي : لم يسرقوا مني شيئاً.. للمخرج أي مخرج ألحقّ في أن يخرج أي نص من نصوصي.. وإذا كان لا بد من موقف إزاء هذا فأنني أقف ضد أي عمل يوظّف لتزييف شخصيتي أو نصوصي.

صباح : إذن.. أنت لم تسمعه جيداً وهو يشكر العاملين في مسرحيته الأخيرة (متداركا) أقصد مسرحيتك الأخيرة.

محيي : هي ليست مسرحيتي بالضبط.

صباح : ماذا تعني أنها ليست مسرحيتك بالضبط؟

محيي : أعني أنني لم اكتب مسرحية بهذا العنوان على الرغم من أن فكرة كتابة مسرحية بهذا العنوان قد راودتني على الدوام.

صباح : اذن استطاع أن يسرق منك ما تفكّر فيه .. أليس كذلك؟

محيي : لا ادري ماذا أقول.. أنا مشوش قليلاً، ويراودني إحساس غريب في أننا لم نصح من رقدتنا بعد.

صباح : (مستفزاً) قد تكون على حق.. سأتحقق من هذا حالا (يتوجه إلى منير) منير.. اصفعني (بقوة) اصفعني.

منير : ماذا.. أجننت؟

صباح : (يصرخ به) اصفعني قلت لك.

منير : لا أستطيع.

صباح : بل تستيطع (مهدداً) إن لم تصفعني بقوة سأرتكب حماقة كبيرة.

منير : أجاد أنت؟

صباح : نعم.

منير : ولماذا أصفعك؟

صباح : لأنني أريد ذلك.

منير : حسنا.. كما تشاء (يصفعه).

صباح : (غاضباً) أتسمي هذه صفعة؟.. إضرب بقوة (يضربه) قلت لك بقوة (يصفعه لا إرادياً صفة شديدة تسقطه أرضاً)

الأنباري : أيها السادة ليس هذا المكان مناسباً لعراككم.. إنكم تشوشون علينا.

صباح : (بحده من مكانه على الأرض) بل انتم الذين تشوّشون علينا.. يكفينا ما فعلتم.

الأنباري : (لزنكنة) صوت هذا الرجل ليس غريبا عليّ.. كأنه ينطلق من داخلي.

زنكنة : يراودني إحساس أنني اعرفه أيضاً.

الأنباري : أنت أيها السيد.. اقترب من هنا لو سمحت.

صباح : لن أدعكم تكملون هذه المهزلة.

منير : أوقفوا هذه اللّعبة حالاً.

محيي : يكفينا ما أصابنا منك (يصعد رجل من الصالة إلى الخشبة الأمامية للمسرح)

رجل2 : هذه وقاحة لم نعهدها من أحد من مثقفي بعقوبه.. أتعرف مع من تتحدث؟

صباح : وما دخلك أنت؟

رجل2 : ستعرف ما دخلي عندما أنادي الشرطي (الى الشرطي في مؤخرة

القاعة) أيها الشرطي.. أيها الشرطي.

الأنباري : (الى رجل 2) مهلاً.. رجاءً.. دع السيد يفصح عن دخائله (إلى صباح) هل تريد معرفة شيء أو قول شيء يا أستاذ؟

صباح : نعم.. أريد أن أعرف من أنتم (يشير إلى ثلاثتهم، ولماذا تنتحلون شيخصياتنا؟

الأنباري : الكلّ هنا يعرف من نحن فمن أنتم؟

صباح : أنا صباح الأنباري، وهذان هما صديقاي محي الدين حميد زنكنة، ومنير حميد العبيدي.

الأنباري : ها فهمت.. الآن فهمت سبب اتهامكم لنا.. لقد فعلتم هذا في محاولة لزجّنا في لعبتكم الدرامية.

صباح : لعبتنا أم لعبتكم؟

الأنباري : بل هي لعبتكم أنتم .. فما حاجتنا إلى التمثيل أمام جمهور غفير يحتفي بنا كل هذا الاحتفاء؟

منير : إن كنتم كذلك لماذا سرقتم أعمالنا؟

الأنباري : لم نسرق عمل أحد.

منير : ولوحتي(زهور وعقارب) كيف ادعى صاحبكم الـ.. العبيدي.. أنها ليست لي مع أن صباح الأنباري كان قد استوحى منها مادة مسرحيته؟

العبيدي : إذن أنت تتهمني بسرقة لوحتي؟

منير : ولكنها لوحتي أنا.

العبيدي : كيف تبرهن أنها لوحتك وليست لوحتي؟

منير : بوساطة شهود العيان.

العبيدي : حسن أنا موافق.. هذه مقاضاة عادلة.. اطلب من ترغب بشهادته

الأنباري : أرى أنكما توصلتما إلى اتفاق.

صباح : حسن.. لنتفق نحن أيضاً.

الانباري : على الشهود؟

صباح : نعم.

الأنباري : وأنت يا أستاذ.. ألا تريد أن تتفق مع الأستاذ زنكنة.

محيي : نعم.. أريد ذلك.

الأنباري : حسن.. اطلبوا الشهود.. فأنا أعتقد أن أحداً من مريدينا(متداركا) أقصد

مريديكم لم يتأخر عن حضور هذا الحفل.

محيي : أنا أطلب شهادة الفنان سعدون العبيدي.

الأنباري : للأسف الشديد.. لقد رحل الفنان سعدون العبيدي إلى العالم الآخر.

محيي : نكتة سمجة.. أيعقل أن يرحل الرجل بهذه السرعة.. أمس كنا، معاً، في بناية اتحاد الأدباء.

الأنباري : (مبتسماً) أي أمس هذا؟ لقد رحل الفنان العبيدي منذ عام 2012.

محيي : والناقدة نازك الأعرجي.. هل رحلت هي الأخرى؟

الأنباري : نعم.. منذ عام 2020 أي قبل سنتين من الآن.

محيي : متى تتوقفون عن هذه السخافات؟

الأنباري : هذه ليست سخافات يا أستاذ.. إنها الحقيقة.

محيي : (إلى صباح بصوت منخفض) أرأيت.. انهم يلعبون لعبتك نفسها في مسرحيتك (زمرة الإقتحام) عندما جعلتني أموت عام 2000 ولكن لا بأس لنرى إلى أي مدى يتمادون في سخافاتهم (إلى الأنباري) أطلب الآن شهادة إبني آزاد محي الدين زنكنة.. وإياك إياك أن تقول أنه رحل هو الآخر.

الأنباري : حسنا (الى منير) وأنت يا أستاذ.

منير : أطلب شهادة الفنانة القديرة وداد الأورفلي.

الأنباري : للأسف غير موجودة في القطر حاليا.

منير : إذن.. أطلب شهادة الفنان الصديق عادل كوركيس.

صباح : أما أنا فأطلب شهادة زوجتي الفنانة لميعه الناشئ.

الأنباري : حسن.. يتفضل الذوات الذين ذكرت أسماءهم إلى المنصة رجاءاً.
(صباح إلى محي على انفراد) أخشى أن نكون قد وقعنا في فخ درامي

محيي : وأنا كذلك (ينتبه للشهود) أنظر.. أنظر إلى الشهود.. لقد جاءوا بشخصيات مزيفة.

منير : هذا يعني أن الخدعة قد انطلت علينا بالفعل فسقطنا في فخ بيراندللو من حيث لا ندري.

الأنباري : الشهود لكم أيها السادة .. استجوبوهم كما يحلو لكم

محيي : نستجوب من ؟! هؤلاء؟

صباح : من سمح لكم لعب هذه الأدوار؟

منير : (ساخراً) أهذا هو عادل كوركيس صديقي ذو اللحية المقدسة؟ ها ها ها ها كم أنتم بلهاء.

محيي : (إلى صباح بصوت منخفض أيضاً) ألا ترى أن الأمر غريب بعض الشيء؟

صباح : ما وجه الغرابة فيه؟

محيي : نحن طلبناهم فجاءوا هكذا.

صباح : هكذا كيف؟

محيي : دون سابق تحضير.. أكانوا يعرفون أننا سنطلب هؤلاء دون غيرهم؟

صباح : أنت تحيرني (متذكرا) هل يعني هذا أن اشباهنا موجودون في الواقع أيضاً؟

محيي : ما أراه هو هذا رغم اختلاف الحقيقة.

صباح : (في حيرة أكثر) كيف؟ ونحن؟.. لا.. لا.. ليس هذا صحيحا أنت تغالط نفسك وتمنحهم الفرصة لاستكمال اللعبة.. دعك من هذه الأفكار وانظر كيف سأراوغ هذه المرأة التي يزعمون أنها زوجتي.

محيي : ولكنها تشبه زوجتك فعلاً.

صباح : تشبهها نعم.. ولكنها ليست هي بالتأكيد.. هذه أكبر سناً(إلى لميعة الناشئ) أنت يا سيدتي.. يفترض بك أن تكوني متزوجة ممن.. ممن..

لميعه : (تقاطعه بشدة وغضب) ما هذا الهراء.. أنا متزوجة منذ عام 1976 من..

صباح : (يتقصد مقاطعتها) صحيح .. صحيح (يمثل دور من يحاول التذكر) كنت حينها عسكرياً.. جازفت بكل شيء.. ركبت موجة المغامرة.. تجاوزت حدود الفوارق الطائفية بيننا وتزوجت...

لميعه : (مقاطعة) عمن تتحدث يا أستاذ؟

صباح : عن ظروف وملابسات زواجي.

لميعه : ولكنك تتحدث عن ظروف وملابسات زواجي أنا.

صباح : زواجك ممن؟

لميعه : من صباح الأنباري طبعاً.

صباح : (مستغرباً) و لكنني أنا هو صباح الأنباري.

لميعه : لا أنكر.. أنك تشبه زوجي عندما كان بعمرك.. ولكنك بالتأكيد ليس هو.. هذا هو زوجي يا سيدي (تشير إلى الأنباري) والكلّ هنا يعرف تفاصيل مغامرتنا.

صباح : (يزداد استغراباً) وأنا ؟! من أكون ؟ ها ؟ (بغضب) من اكون؟

لميعه : أتسألني يا سيدي؟

صباح : (ينظر إلى محيي ومنير ثم إليها) لا .. لم أعد بحاجة إلى إجابة أحد

الأنباري : عودي إلى محلك لطفاً(تعود إلى محلها في الصالة) والآن هل تقومون باستجواب أحد؟

منير : لا أظن

محيي : مهلا منير.. أريد أن أطرح على هذا الرجل سؤالاً (يقترب من آزاد.. يحدق في عينيه) جدتك لأبيك.. ألا تزال على قيد الحياة؟

آزاد : لا.. توفّيت و أنا ما أزال صبياً.

محيي : متى؟

آزاد : عام 1984

منير : سؤالك هذا لا يجدي نفعاً

محيي : بل يجدي.

منير : كيف؟

محيي : لا أحد يهتم بتاريخ كهذا غير ذوي المتوفى.

منير : هل تريد أن تقول أن هذا الرجل، الذي عمره مقارب لعمرك، هو ابنك آزو؟

محيي : لولا فارق العمر بينه وبين آزادي لقلت أنه ابني فعلاً.

منير : هذا ما كان ينقصنا.. هل أنت مشترك في اللّعبة معهم ضدّنا؟

محيي : لا.. ولكن شعوراً أبوياً، غريباً، انتابني وأنا أحدّق في عينيّ هذا الرجل.. إن فيه الكثير الكثير من آزادي.

منير : اذا كان في هذا (يشير إلى آزاد) الكثير الكثير من آزادك.. فماذا يحوي هذا (يشير إلى عادل كوركيس) من عادلنا؟

عادل : (متدخلاً بينهما) لو سمحتم.. عن أي عادل تتحدثون؟

منير : عن الذي انتحلت شخصيته.

عادل : لم انتحل شخصية أحد.

منير : بل انتحلت.

عادل : تشابه الأسم .. لا يعني انتحال الشخصية.

منير : أنت تشبهه كثيراً لولا فارق العمر.

عادل : فارق العمر؟! كم يبلغ فارق العمر؟

منير : حوالي خمسة وعشرين عاماً

عادل : خمسة وعشرون عاما (يفكر مع نفسه ثم بصوت مسموع) خمسة وعشرون عاما؟ (يقترب من منير) هل انتم من كوكب آخر؟

منير : لم اطلب منك ممازحتي.

عادل : إن لم تكونوا من كوكب آخر فأنتم اذن كهفيوا هذا القرن.. نمتم في زمانكم، وصحوتم في زماننا.

منير : هه.. كهفيوا هذا القرن.. هراء (بصوت أعلى) هراء

عادل : آسف.. آسف جداً.. ولكن كيف تفسّرون وجودكم بيننا (لا جواب) نحن كما ترون متجانسون.. ويمكنكم التأكّد أكثر فأكثر بمناداة شهود آخرين، وليكن في حساباتكم أنه مهما قلّ أو كثر عددهم فأنهم يؤكدون حالة واحدة هي أنكم أنتم الثلاثة مختلفون عن (يشير إلى زنكنة والأنباري والعبيدي) هؤلاء الأساتذة.

صباح : من المؤكد أننا نختلف عنهم.

عادل : (يتنحى بهم جانباً) لكن ما يحيّرني أنكم متشابهون معهم أيضاً(متداركاً) لا أعني من حيث الشكل والمظهر الخارجي حسب.. بل ومن حيث السلوك الذي عرفوا به من قبل.

منير : عرفوا به من قبل؟ والآن؟

عادل : حدث تبدل جعلني أرتاب بعض الشيء.

محيي : منذ متى حدث ذلك التبدل.

عادل : المشكلة أنه حدث منذ ما يقارب الربع قرن. وهي الفترة نفسها التي اعتبرتموها فارقاً للعمر بيننا وبينكم.

محيي : وماذا يعني هذا بالنسبة لك؟

عادل : يعني أن اصدقائي هؤلاء (يشير إليهم) ربما كانوا امتداداً لكم، وأنكم تمثلونهم ما قبل تبدلهم، وأن هناك حلقة مفقودة عند مفترق الطرق

منير : أي مفترق؟

عادل : المفترق الذي عنده انفلق الزمن وحدث الإنشطار.

منير : (مردداً) انفلق الزمن وحدث الإنشطار(يتوقف ثم إلى عادل) انشطار من؟

عادل : انشطاركم

منير : لسنا من فصيلة السبايروجيرا حتى ننشطر كما يحلو لك أن تتخيل.

عادل : عذراً.. أردت أن أضع تفسيراً يبرر وجودكم وغرمائكم بهذه الطريقة.

منير : لا حاجة بك إلى هذا.. نحن ندرك جيداً أن في الأمر لعبة ما وسنكتشفها حتماً.

عادل : آمل ذلك (يهم بمغادرتهم) ، وعلى أي حال إن احتجتم إلى شيء فلا تترددوا في طلبه مني.. أستأذنكم (إلى زنكنة والعبيدي والأنباري) اسمحوا لي أيها السادة بمغادرة المنصة(ينحني لهم قليلا ثم ينسحب)

منير : هذا الرجل يحيرني حقا.. إن فيه الكثير من نبل عادل وشهامته.

صباح : لا تتعجل إطلاق الأحكام فاللّعبة لم تنته بعد.

منير : آ.. حقا.. ماذا سنفعل مع هؤلاء؟

صباح : سترى (يتقدم نحو الأنباري وزنكنة والعبيدي، يقف عند حافة منضدتهم، يوجه الحديث الى جمهور النظارة أول الأمر ثم إليهم. يتحرك هنا وهناك كما لو كان محاميا للدفاع في قاعة محكمة) أيها السادة .. سأورد بعض المعلومات المهمة التي آمل أن لا يمانع هؤلاء السادة (يشير إليهم) من طرحها عليهم والردّ عليها.

زنكنة : لا مانع لدينا ألبتة.. اطرح.

صباح : حسن.. سأبدأ ببعض المعلومات الأولية عن بعض الشخصيات التي خلقها محيي الدين زنكنة في بعض أعماله الفنية، وسأبدأ تحديداً بشخصية الطبيب صفوان بن لبيب.

زنكنة : (مكملا بلهفة صبيانية) وما جرى له من العجيب والغريب.

صباح : مهلا.. ليس الأمر بهذه السهولة كما تظن (إلى الجمهور) الطبيب صفوان أيها السادة رجل شهم، نبيل، إنساني في طبعه، شريف في نسبه، نزيه في تعامله، ولكنه برغم ذلك أودع السجن. أطلب من هذا السيد(يشير إلى زنكنة) الذي يدّعي خلق هذه الشخصية أن يذكر سبباً واحداً من الاسباب التي أدت بصفوان الى ذلك.

زنكنة : حسن.. القتل المتعمد مع سبق الإصرار والترصّد.

صباح : لو تفضّلت يا سيدي، وذكرت اسم القاتل بوضوح.

زنكنة : بكل سرور.. صفوان بن لبيب.

صباح : (مهاجماً أكثر) قلت مكملاً عن صفوان قبل لحظات "و ما جرى له من العجيب والغريب" ما العجيب والغريب الذي جرى لصفوان؟

زنكنة : القتل.. لأنه لم يكن من شيمه وهذا غريب.

صباح : والعجيب؟

زنكنة : دخل السجن في الوقت الذي ينبغي الإفراج عنه لمكانته ومركزه.

صباح : (يستدرجه) وإذ لم يفرج عنه.. هل أعلن تمرده على الوالي.

زنكنة : بل استعطف الوالي واسترحمه.

صباح : هل سمعتم أيها السادة؟ هل تأكّد لكم زيف هذا الرجل؟ هل هذا هو صفوان الذي عرفتموه في مسرحية السؤال.. إن هذا السيد يتحدث عن صفوانه هو لا عن صفوان زنكنة الحقيقي (يرتبك زنكنة فيحاول الأنباري انقاذ الموقف)

الأنباري : أيها السادة الحضور.. هذه نسخة أصلية من مسرحية (السؤال) وفيها توكيد كبير لما ذكره الأستاذ زنكنة حول شخصية صفوان.

صباح : (يقترب من محي هامساً)، تحل بالصبر يا أستاذ.. سأنال من الأنباري الخبيث (ثم الى جمهور النظارة) حسناً أيها السادة.. هناك مسرحية بعنوان (الخاتم) وفيها إشارة واضحة لخاتم مهم.. لو يتفضل الأستاذ زنكنة أو الأستاذ الأنباري.. لا فرق ويقولا لنا شيئاً عن الخاتم.. أهو خاتم سليمان أم معاوية بن أبي سفيان؟

الأنباري : بل هو خاتم سليمان.

صباح : هل تستطيع أن تحدثنا عن هذه المسرحية باختصار لو سمحت؟

الأنباري : هي واحدة من المسرحيات التي استوحى الأستاذ زنكنة مادتها من التراث.. وتدور أحداثها حول خاتم سليمان ومعجزاته.

صباح : هل نشرت هذه المسرحية أم لم تنشر؟

الأنباري : نشرت وهذه نسخة أصلية منها.

محيي : (ينفجر ثائراً غاضباً) كذب.. كذب واضح النذالة والانحطاط.. لم أكن أتوقع أنكم على هذه الدرجة من السفالة.. المسرحية لا تزال مخطوطة

لديّ .. فمن أين جئتم بهذه النسخة المزيفة.

صباح : (يأخذ محي الى جانب المسرح) إضبط اعصابك جيداً.. لم انته منه بعد (إلى الأنباري) أنت يا سيدي يا من تسمّي نفسك الأنباريّ ماذا تعرف عن (زهور وعقارب)؟

الأنباري : كل شيء.. كل شيء.

صباح : إذن...

الأنباري : هي مسرحية استوحيت مادتها من لوحة زيتية لصديقي الفنان العبيدي.

صباح : حسناً.. حسناً.. أجبني فقط، لو سمحت، من هم زهور اللّوحة ومن هم عقاربها؟

الأنباري : زهورها أسياد هذا المجتمع.. وعقاربها أنتم الذي تريدون، دوما، أن تحطّموا كلّ شيء جميل وتشوهونه بسمومكم ولؤمكم.

صباح : وهل تحتفظ بنسخة أصلية منها في الدرج (يشير إلى درج في المكتب)

الأنباري : نعم.. هذه نسخة أصلية من المسرحية

صباح : اعطينها لو سمحت.

الأنباري : (مرتبكا) كلا.. لا يمكن.. لا يجوز.

صباح : (إلى الجمهور) ألا يسأل أحدكم لماذا لا يسلمني النسخة؟

مشاهد1 : (وهو من المتفرجين الذي يجلسون أمام المنصة) سلمه النسخة يا أستاذ

الأنباري : (محرجاً أكثر من ذي قبل) ينبغي أن .. أن لا تسير الأمور على وفق ما يشتهون.

مشاهد2 : مع هذا سلّمه النسخة حتى نقيم عليهم الحجة.

الأنباري : حسناً.. حسناً.. سأسلمه إيّاها.. تفضل يا أستاذ.. تعال إلى هنا (يأخذه جانباً يهمس في اذنه بضع كلمات)

صباح : (بثورة وغضب) لم لا تقول هذا الكلام أمام الناس جميعاً.. لم لا تكشف عن تهديدك لي (يخطف النسخة منه.. ينتقل إلى الجهة الأخرى من المسرح.. يتعبه الأنباري محاولاً استرجاع النسخة لكنه يفشل، صباح يقلب أوراق النسخة بسرعة ثم..) انظروا إليها أيها السادة والسيدات.. هذه النسخة لا تحوي شيئاً.. إنها مجرد ورق.. ورق فارغ.

زنكنة : (بانفعال) وحوش.. أما كفاكم ما فعلتم أيها المزيّفون الأوغاد.. لقد سقط النقاب عن وجوهكم الزائفة وها أنتم تتهاوون إلى حضيض لا قرار له..

وأن خير ما يفعله المرء بشلة من امثالكم هو أن يغادر هذا المكان الفائح بالغدر، والزيف، والنذالة، والسفالة (يهمّون بمغادرة المنصة)

رجل3 : (يعترض طريقهم) تغادرون؟ هكذا بهذه السهولة والبساطة (إلى الأنباري) أردت أن ألقي القبض عليهم فمنعتني.. لقد حضروا ليفسدوا علينا يومنا.. ولكنني سأفعل، الآن ما أراه مناسبا(يصدر أمراً لشرطي من شرطة الحراسة) أيها الشرطي.. أيها الشرطي.. خذ هؤلاء وزجّ بهم جميعاً في السجن.

(إظلام)

*

[صباح، ومنير، ومحي خلف قضبان السجن. الوقت لا يزال ليلاً. يظهر القمر من خلف نافذة السجن الصغيرة العالية...]

منير : لم أكن أعرف أن الأمر كله محض لعبة درامية براندلوية.

صباح : والآن.

منير : ازددت تشويشاً واضطراباً.. بل خوفاً وقلقاً من أن يكون هذا الذي أراه أمامي واقعاً وليس وهماً.

صباح : ألمس هذه القضبان لتتأكد أنها موجودة فعلاً.

منير : ليس الوقت وقت مزاح.

صباح : إذن.. تعال نفكر، معاً، بطريقة للخروج من هذا المأزق.

محيي : ليس قبل معرفة الإجابة عن السؤال الأكثر إلحاحاً وأهمية: من نحن؟

صباح : وما السبيل إلى معرفة من نحن؟

منير : أن نعرف، أولاً ، من هم.

صباح : نحن نعرف من هم.

منير : لا تقل لي أنهم ممثلون في عرض درامي على طريقة بيراندللو.

محيي : ولا تقل أنهم مزيفون.

صباح : هذا كلام خطير جداً.

محيي : ولكنه واقعي جداً.

صباح أنتما تعترفان بوجودهم.. أتدركان ما يعنى هذا.. يعنى إلغاء وجودنا نحن.. كيف تسمحان لنفسيكما أن تفكرا بهذه الطريقة.. وجودنا لا مجال للتشكيك فيه إلا إذا كنتما بريكليان فعلاً*.

محيي : مع هذا هناك حلقة مفقودة، كما ذكر عادل كوركيس، ما بين وجودهم ووجودنا (بتأكيد) وفارق العمر ما بين أعمارهم وأعمارنا.

منير : وهو الفارق نفسه ما بين أعمار الذين نعرفهم وأعمار الذين حضروا بدلاً عنهم.

محيي : الكل، هنا، متقدمون علينا بخمسة وعشرين عاماً.

صباح : (مكملاً بتهكم وعدم رضا) وأننا، الآن، في عام 2022 بدلاً من أن نكون في عام1997.

محيي : صحيح.. هذا صحيح.

صباح : (مستفزاً. منفعلاً) ما هو الصحيح يا أستاذ.. نحن لم نسافر في عربة الزمن بعد.

منير : أظن أن المسألة أخذت قالباً آخر.

صباح : ماذا تعني؟

منير : هؤلاء الذين يشبهوننا ربما استنسلوا منا.

صباح : لماذا؟

منير : لينفذوا ما يطلب منهم دون اعتراض.

صباح : نظريّاً أنت على صواب.

منير : وعملياً؟

صباح : عملياً لا يمكن الاستنسال دون أخذ خليّة منا.

منير : ربما أخذوا خلايانا ونحن راقدون في العراء.

---

* **بريكلي: فيلسوف وقس بريطاني. كان يؤمن أن العالم الخارجي مركب إحساسات ولا وجود للأشياء موضوعياً خارج الذات.**

صباح : وهؤلاء الذين نعرفهم من الأصدقاء والأقارب.. شهودنا في تلك القاعة أهم مستنسلون أيضاً؟

منير : ربما.

صباح : ما حاجتهم إلى استنسال كل هذا العدد الكبير من البشر في بضع ساعات؟.. ألكي يحتفوا بمبدعين رفضوا الانصياع لأوامرهم حسب؟

منير : يبدو لي أنك على صواب.. إذ لا يمكن استنسال هذا العدد الكبير نسبياً في بضع ساعات.

محيي : ليست بضع ساعات.. إنها في حساباتهم ربع قرن من الزمان.

منير هذا أكيد.

صباح : ولكنه خطير في الوقت نفسه.

منير : ما وجه الخطورة فيه؟

صباح : إنه يعني في جوهره أننا نحن المستنسلون وهم الأصليون.. إذ لا يمكن للمستنسل أن يكون أكبر عمراً من المستنسل منه

منير : أنت بارع حقاً بإغلاق الأبواب في وجوهنا.

صباح : لم أقصد.. لكنه المنطق.

محيي : إذا ربطنا بين هذا المنطق وبين صورة الشبح الغريب التي تراءت لنا هيأته في أول الليل فإنه لن يظل منطقاً.

صباح : وإذا اعتبرنا ما فعله الشبح واقعاً؟

محي : إذ ذاك لا يمكن أن نفسّر الأمر إلا من خلال اينشتاين.

صباح : خيال جامح.. ولكنه جميل.. جميل أن يكون ذلك الشبح رجل فضاء أخذنا معه في نزهة كونية وهو يطير بنا بسرعة هائلة جداً ثم عاد بنا ثانية لنجد عمر الكرة الأرضية قد تقدم علينا بخمسة وعشرين عاماً.

محيي : هل تدري أن ما تعتبره خيالاً جامحاً يعطينا التفسير العلمي لمعضلتنا.. والمعنى الدقيق لوجودنا.

صباح : كيف؟

محيي : لو كان وجودنا طبيعياً فعلاً ألا ينبغي أن يوجد معنا وبأعمارهم التي يعرفها أزواجنا وأخوتنا وأهل بعقوبه الذين نعرفهم واحداً واحداً؟

صباح : نعم.

محيي : إذن، أين هم الآن (صباح لا يجيب) أنا أقول لك.. إنهم موجودون هناك، خارج السجن، ولكن بإعمار متقدمة علينا بربع قرن.

صباح : أنتما تجعلانني أكثر تشويشاً وقلقاً.. مع ذلك إذا اعتبرنا تفسيرك هذا صحيحاً فمن أين جاء هؤلاء الذين يشبهوننا ولماذا يوجد في هذا العالم صباحان ومنيران ومحييان؟ لماذا هذا الوجود المزدوج الغريب؟

منير : أتعتقد أن من السهل الإجابة عن كل هذا؟

صباح : يفترض... (يدخل الشرطي. يقاطعهم).

الشرطي : أيها السادة.. شخص طلب مواجهتكم.. هل لديكم أي مانع في مواجهته؟

محيي : لم يمضِ علينا، هنا، سوى بضع ساعات ويأتون لمواجهتنا.

صباح : حسب تقديرك.. يفترض أن لا أحد يعرفنا في بعقوبه كلها (إلى الشرطي) هل ذكر لك اسمه.

الشرطي : نعم.. قال إن اسمه مجيد مبارك.. أصرفه أم أدعه يدخل؟

محيي : (مستبشراً) مجيد مبارك.. مجيد مبارك.. أعتقد أننا وجدنا الحلقة المفقودة.. مجيد هو حلقتنا المفقودة (إلى الشرطي) حسناً.. دعه يدخل رجاءً (يخرج الشرطي) لمَ لمْ يخطر على بالنا من قبل مع أنه كان الليلة معنا (يدخل رجل كبير السن. أشيب الرأس. يضع على عينيه نظارة طبية سميكة ويتكئ على عصا أنيقة)

مجيد : السلام عليكم.

صباح : (يقترب منه. يتأمله ثم إلى محي بشيء من السخرية، أهذا هو حلقتك المفقودة؟

مجيد : قلت السلام عليكم.

الجميع وعليكم السلام.

صباح : (بأسلوب تمثيلي ساخر) تفضل يا مولانا.. إجلس رعاك الله.. نحن الضيوف وأنت رب المنزل (يضحكون)

مجيد : ممن تسخر (ابن أختي)؟

صباح : يتوقف عن الحركة من فرط ذهوله. يجمد في مكانه ثم، أسمعتما ما

قال.. لقد قال (ابن أختي)

محيي : هذه عبارة لا يقولها، في بعقوبة، ألا شخص واحد.. مجيد مبارك.

منير : أأنت مجيد مبارك حقاً؟

مجيد : نعم..، أنا هو، كما تراني.

صباح : أنا لا أرى غير أطلال اسمها مجيد مبارك.

مجيد : ذلك هو فعل الزمن.

صباح : (مستعيراً عبارته) ابن أختي.. أي زمن هذا.. ليلة واحدة لم تنقض تسمونها زمناً، أرجوك اتركنا وشأننا.. يكفينا ما لقينا الليلة منكم.

محيي : دع الرجل يقول ما عنده.. حسناً (ابن أختي) قل ما عندك رجاءً.

مجيد : عندما رجع مدين من الحفل الخاص...

صباح : (يقاطعه) مدين؟ هل يحضر الأطفال احتفالاتكم الخاصة.

مجيد : (لله درك) مدين له من العمر ثلاثة وثلاثون عاماً.

صباح : آ.. نسيت.. نسيت أن الفرق بيننا خمسة وعشرون عاماً.. تفضل قل ما عندك.. أنا آسف.

مجيد : لقد روى لي وقائع ما حدث لكم مع أصدقائي.. وقال إن السيد أمين شؤون المحافظة قد أمر بإلقاء القبض عليكم وإيداعكم السجن.

صباح : وماذا في هذا (ابن أختي) نحن سجناء كما ترى.

محيي : صباح.. أرجو أن تكف عن مضايقة الرجل.. ثمة أمور يريد التحدث عنها.

صباح : حسن سأكف (يؤدي حركة الامتناع) كما تشاء (بسخرية وممازحة إلى مجيد مبارك) تفضل يا مولانا خذ ما يكفيك من الوقت.

مجيد : (ابن أختي) أنت لم تتغير أبداً.

صباح : (مصعوقاً) وما أدراك؟

مجيد : (مرتبكاً بعض الشيء) ها؟.. عفواً اعتقدت أنني أتحدث إلى الأنباري

صباح : الأنباري من؟ أنا.. أم هو؟

مجيد : لكبر سني وضعف بصري لم أستطع التمييز.

صباح : (يشير له محي بالسكوت) حسناً.. حسناً.. سأصمت

مجيد : عندما حدثني عنكم ولدي مدين قلت في نفسي لم لا اذهب وأتحدث إليهم.

صباح : بصراحة يا مولانا لا وقت لدينا للمحادثة.. أنت رجل عجوز ولا شيء يشغل العجوز غير الـ.. الكلام (محي ومنير يشيران عليه بالسكوت) إذا أردتما أن لا أتكلم بعد دعوني أعقد معه اتفاقاً (يشيران له بالموافقة) كنا في السابق نقول: إذا حضر مجيد حضر العرق.. وها أنت قد حضرت ولم يحضر العرق.. إذن لن يكون بيننا أي اتفاق.

مجيد : بل يكون.. ولكن قل لي أولاً.. كيف تسنى لك أن تتحدث كما لو أنك الأنباري فعلاً (صباح لا يحير جواباً) تفضل.. هذا هو عقد الاتفاق (يخرج قنينة عرق من تحت ملابسه) ها؟ اتفقنا؟

صباح : (باستسلام) اتفقنا.

محيي : (يحثه على الكلام) إذن أردت محادثتنا.

مجيد : نعم.

محيي : بخصوص ماذا؟

مجيد : بخصوص.. بـ... (يحاول التذكر).. آ.. بخصوص تلك الليلة الرهيبة.

منير : (متدخلاً) أي ليلة؟

مجيد : ليلة كنّا، معاً، في مزرعة خارج بعقوبه قبل خمسة وعشرين عاماً من الآن..

منير : وبعد.

مجيد : وقتذاك احتجت كمية أخرى من العرق فركبت سيارتي وغادرت المزرعة متجهاً نحو المدينة.. ولدى عودتي رأيت ما يشبه الخيال رأيت شيئاً لا يمكن تصديقه.

محيي : (متلهفاً) ماذا رأيت؟

مجيد رأيت كائناً غريباً ليس له هيئة محددة أخذ يقترب من أصدقائي قبل أن أصل إليهم.. أطلق من تحت أظفاره، أو هكذا خيل إليّ، أشعة زرقاء سلطها عليهم فناموا أو أغمي عليهم.. أو.. لا أدري بالضبط ما حدث لهم.. وبين دهشتي واستغرابي رأيته، أو هكذا خيل لي أيضاً، يحملهم

إلى داخل جسم غريب هو أشبه بمركبة فضاء في فيلم من أفلام الخيال العلمي.. ما أن أدخلهم حتى انطلق ذلك الجسم بسرعة مهولة مخلفاً وراءه ضجيجاً وتراباً وقلقاً.. أردت أن أتبين حقيقة الأمر وأن أتأكد من أن ما رأيته كان وهماً لا واقعاً.. ضربت جبهتي براحة يدي عدة مرات لا تحقق من أنني لم أقع تحت تأثير السكر.. وعندما وصلت إلى مكانهم وجدتهم قد اختفوا فعلاً.. عدت إلى البيت مرتبكاً.. قلقاً.. مشوشاً وكان منظر ذلك الجسم قد سيطر على مخيلتي طوال تلك الليلة.. كان علي أن أنتظر حتى طلوع الفجر.

محيي وعندما طلع الفجر ماذا فعلت؟ ها؟

مجيد ذهبت إلى بيت زنكَنة.. طرقت الباب.. ففتح لي على عادته.. قلت أريد أن أعرف حقيقة ما جرى لكم ليلة أمس في المزرعة.. استغرب زنكَنة كلامي كثيراً وقال بهدوء وهو يتأملني.. يبدو أنك لم تنم جيداً.. أنت لست على ما يرام.. لم يحدث شيء لأننا لم نسهر ليلة البارحة لا في المزرعة ولا في أي مكان آخر.. خدعت نفسي وكذّبت عليها وقلت متداركاً الأمر.. آ.. نسيت.. ظننت أننا سهرنا ليلة أمس في المزرعة.. ومنذ تلك اللحظة كتمت هذا الأمر في نفسي ولم أحدث به أحداً.. لكن إحساساً.. أو هاجساً ما، في داخلي، جعلني أشعر، على الدوام، أن ما حدث لهم كان أمراً واقعاً حقيقياً.

محيي : وماذا حدث بعد ذلك؟

مجيد : فوجئت بتدهور العلاقة الزوجية بين أصدقائي وزوجاتهم.. كانت كلّ زوجة منهن تشعر، في بعض الأوقات، كما لو أن زوجها غريب عنها تماماً.

منير : (متلهفاً) وماذا حدث لهن بعد ذلك؟

مجيد : سويت الخلافات بينهن وبين أزواجهن.. واستسلمن، فيما بعد، للأمر الواقع.

منير : وأنت كيف سارت أمور علاقتك معهم؟

مجيد : من سيء إلى أسوأ.

صباح : لماذا؟

مجيد : لأنهم تغيروا فعلاً.. تصور.. محي الدين زنكَنة الذي لا يطأطئ رأسه

لأحد أبداً.. وافق على أن يقيموا يوماً للمبدعين باسمه.. ووافق على الاحتفاء به على طريقتهم وصار ينظر إلى نفسه بمنظار التعالي، والتباهي، والتفوق، والكبرياء.

منير : لكنهم صفقوا له ولصديقيه تصفيقاً شديداً ينم عن الحب والإجلال والإكبار.

مجيد : لا عليك بتصفيقهم.. كل هذه الأمور مفبركة بشكل متقن لتبدو طبيعية أمام الوافدين من أجل زنكَنة الحقيقي.

منير : هل تعني أن هناك زنكَنة آخر.. وإن الذي التقينا به هو زنكَنة الزائف؟

مجيد : لا أعرف.. لم أعد أعرف شيئاً مما يحدث منذ تلك الليلة الرهيبة.. لقد نسيت.. نسيت كل شيء فعلاً.. إلا أن ما نقله لي مدين عنكم أنعش ذاكرتي بتلك السلسلة من الأحداث الغريبة وأردت أن أفصح عما في داخلي فجئت إليكم.

صباح : (بمرارة) لماذا نحن بالذات؟

مجيد : أحسست كما لو أن خيطاً رفيعاً يربط بيننا جميعاً.. وأقنعت نفسي أنكم لا بد وأن تكونوا على معرفة بما حدث قبل خمسة وعشرين عاماً.

محيي : كل الذي عرفناه هو أن ما رأيته أنت في خمسة وعشرين عاماً رأيناه نحن في ليلة واحدة.. ليلة لم تنقض بعد.

منير : كنت أنت الحلقة المفقودة التي نبحث عنها.. وإذ ظفرنا بها تبين أنها ليست الحلقة الوحيدة.

صباح : بمعنى آخر (ابن أختي) حضورك خيب آمالنا.

مجيد : أنا آسف من أجلكم جميعاً.. أما أنت (ابن أختي) فأنا أحمل لك شيئاً خاصاً.

صباح : شيئاً خاصاً؟! ما هو؟

مجيد : بضع أوراق كلفني منير العبيدي بإيصالها إليك.

منير : (بشكل آلي سريع) أهي ترجمتي لموضوعة استنسال البشر.

مجيد : نعم بالضبط (موسيقى سريعة الإيقاع مختلطة بأصوات غريبة تنطلق بسرعة مع سرعة تبدل شكل المسرح وومضات الإضاءة أو حركة الضوء المتحرك (الفلو).. تستقر الإضاءة أخيراً فنرى صباح الأنباري جالساً على منضدته ممسكاً بقلمه وأمامه مجموعة من الأوراق وهو

منهمك في الكتابة. يرفع رأسه وكأنه يحاور أحداً ما كان بقربه منذ لحظات

صباح : كان يمكن أن تفيدني هذه الترجمة في توسيع فكرة مسرحيتي الجديدة، هذه، عن استنسال البشر.. أما وقد أكملتها الآن.. فلم أعد بحاجة إليها.

(إظـــلام)

بعقوبة 1998

مسرحية

عندما يرقص الأطفال

شخوص المسرحية

1. الكورال	مجموعة من المغنين
2. ننورتا	صبي الغابة
3. أورننكال	صديق ننورتا
4. أوبار	صديق ننورتا
5. الأب	والد ننورتا
6. الأم	والدة ننورتا
7. رجل (1)	من اهل الغابة.
8. رجل (2)	من اهل الغابة.
9. خمبابا	المارد الكبير.
10. القائد	أتباع خمبابا.
11. سمّاع	أتباع خمبابا.
12. شوّاف	أتباع خمبابا.
13. شمّام	أتباع خمبابا.
14. تابع	أتباع خمبابا.
15. العرّافة	أتباع خمبابا.
16. كلكامش	البطل الأسطوري
17. ننسون	والدة كلكامش.
18. انكيدو	صديق كلكامش.

الكورال : إليكم الحكاية الأسطوره
عن غابة كبيرة مسحوره
عن ظالم تواصلت شروره
في الليل والنهار

إليكم الحكاية الأمثولة
عن عالم الصغار والطفوله
والحب والرجال والبطوله
والغدر والأسرار

تعلموا من هذه الحكايا
من يدفع الناس إلى المنايا
ويملأ البقاع بالرزايا
وينشر الدمار.

المجموعة1 : أطفال يرتدون الملابس البيض القصيرة، وعلى ظهورهم أجنحة صغيرة).
أرواحنا تحوم حول الغابه
فراشة وشمعة مذابه
ووردة تنتظر الأمطار
والحب والسحابه.

المجموعة2 : وهم من الأطفال أيضاً. يرتدون ملابس عصرهم التقليدية)

أرواحكم تصعد في أرواحنا
نسغاً من النقاء
جذوركم تمتد في جذورنا

درباً إلى الضياء

الكورال : نعيش في غابتنا الجميله
من غابر القرون
نرقص في أفيائها الظليله
نميس كالغصون

المجاميع : لكنهم جاؤوا مع الظلام
ليسرقوا الغابة والسعاده
ويمنعوا الغناء والكلام
والرقص والأفراح والولاده

مغني : وكان يا ما كان
في غابر الزمان
أن دخل الغابة خمبابا
فبدد الأمان.

أحد المنشدين : (ينظر باتجاه يمين المسرح. يصرخ). لقد وصل الأشرار.. وصل أتباع خمبابا.. اهربوا جميعاً... اختبؤوا في الغابة... أو احموا أنفسكم.. هيا.. بسرعة.. بسرعة..
(يهربون جميعاً إلا ثلاثة أولاد.. يظلون مختبئين خلف أشجار الأرز).

أورننكال : (يخرج رأسه من خلف الشجرة هامساً) لم لا نهرب معهم؟

اوبار : فات الأوان.. لن نستطيع.

ننورتا : بل تستطيعان.. اهربا، إن شئتما، من هذه الطريق فهي آمنة.

اويار : وأنت..

ننورتا : سأنتظر هنا..

أورننكال : تنتظر من؟

ننورتا : أتباع خمبابا..

أورننكال : إذن سننتظرهم معك.

اوبار : هل جننتما؟

ننورتا : هـ.... ش.... ش... لقد وصلوا... يختبئون خلف الأشجار. يدخل ثلاثة من أتباع خمبابا (وهم يضعون الأقنعة على وجوههم).

شمام : (يشم هنا وهناك) أكاد أشم رائحتهم هنا (يتشمم) بل هنا.

شواف : رائحة من يا شمام؟

شمام : رائحة أهل الغاب .

شواف : كيف؟ ألم نمنعهم من دخول الغابة.

شمام : ملاعين.. يتحدون أوامرنا..

سماع : صحيح.. لقد سمعتهم يزعقون بأصوات يكرهها سيدنا العظيم خمبابا.

شواف : سمعتهم يزعقون ولم تخبرنا؟ أتعرف ما عقوبة من يكتم سراً على أتباع خمبابا؟

سماع : وأنا.. ألست واحداً من أتباعه؟.. أم تظنني واحداً من أتباع أهل الغابة.. ثم أنني لم أكتم أي سر.. لقد قلت لكم أنهم يزعقون بهذا الاتجاه.. وها نحن في المكان الذي كانوا يغنون ويرقصون.. أليس كذلك يا شمام؟

شمام : (ها منتبهاً) نعم.. نعم.. كانوا هنا بالتأكيد (يتشمم مبتعداً عنهما باتجاه مقدمة المسرح .

شواف : (يتابعه بنظره) ها؟ هل شممت رائحة أحد؟

شمام : (لايزال يشمّ) إن لم يخطئ أنفي أشم رائحة كائنات صغيرة.

سماع : (كائنات صغيرة متندراً) مقلية أم مسلوقة؟

شمام : (يشم) بل نيّئة.

سماع : هذا أفضل.. سنجعل منهم قرابين لعفريت الغابة (يضحكون).

شمام : اسمعا.. تعالا إلى هنا يقتربان منه.. (يشير إليهما إشارات غير مفهومة).

ننورتا : (يخرج رأسه من خلف الشجرة هامساً) يا له من أنف عجيب... لقد شم رائحتنا.

اويار : ماذا سنفعل؟

اورننكال : (مكرراً) نعم.. ماذا سنفعل؟

ننورتا : ننتظر قليلاً.

اورننكال : ننتظر ماذا وهم يريدون تقديمنا قرابين لعفريت الغابة.

ننورتا : لن يكون لهم هذا.. اعتمدا عليّ.. سأجعلهم يتيهون في الغابة.. هش... ش... ش اختبئا جيداً الرجال الثلاثة يتراجعون بحذر وخبث. (يقف كل منهم أمام شجرة من تلك التي اختبأ وراءها الأولاد الثلاثة وبقفزة واحدة وموحدة يمسك كل منهم بواحد من الأولاد).

شمام : ألم أقل لكما أن أنفي لا يخطئ.. لقد أمسكنا بهم.

شواف : هيه أنت أيها الجرذ الصغير الملعون.. ماذا كنتم تفعلون هنا..ها؟

ننورتا : لا شيء..

شواف : كيف لا شيء.. ها؟

ننورتا : (الحقيقة كنا... كنا تخطر له فكرة) آ.. كنا ننتظر خمبابا.

شواف : ماذا؟! تنتظرون خمبابا.. هاهاها يتوقف عن الضحك بشكل مفاجئ) هل قلت أنكم تنتظرون خمبابا؟ لماذا؟ ها؟.. لتقدموا له أنفسكم كقرابين طازجة؟

ننورتا : بل لأمر هام جداً.

شواف : (بإصرار وفضول) ماهو ؟ ها ؟ ماهو الأمر الهام جداً أيها الجرذ الصغير الملعون ؟

ننورتا : (يفاجئه) خمبابا.

الثلاثة : (معاً بارتباك) ماذ ؟

ننورتا : (يستغل ارتباكهم) انظروا إلى هناك يشير إلى جهة اليمين. يومئ لصديقيه كي يهربا أولاً ولكنهما يتأخران.. يهرب هو فيتبعه صديقاه، إلا أن شواف وسماع يقبضان عليهما. (شمام يطارد ننورتا إلى خارج المسرح).

شواف : (ينظر في أثرهما) يا له من شيطان صغير ملعون.. لقد استغفلنا وهرب.

سماع : شمام سيقبض عليه بالتأكيد.. إنه أفضل من يقتفي رائحة الطريدة.

شواف : هيه.. أنت (مهدداً) إن لم تقل ماذا كنتم تفعلون هنا سأعلقك، من قدميك، على هذه الشجرة.. وسأجعل غربان الغابة تفقأ عينيك..

أورننكال : (خائفاً) كنا.. كنا.. لم نفعل شيئاً.

شواف : حسن.. أنا أصدقك.. ولكن قل لي.. هل كنتم تغنون وترقصون معهم؟

شواف : مع مَن؟

اورننكال : مع أهل الغابة.

اورننكال : نعم.

شواف : هذا ما كنت أريد معرفته بالضبط (يغير ملامح وجهه) أنتم مشاغبون من أهل الغابة (ينظر في أثر شمام) سماع.. سماع... هل ترى ما أرى..؟!

سماع : أنا لا أرى شيئاً.

شواف : لقد فقد شمام أثر الصبي.. إنه يشم هنا وهناك دون جدوى.

سماع : غبي.

شواف : ما أشد غباءَه.. انظر.. لقد جعله يدور حول نفسه كما لو أنه بغل كبير... ينادي (بصوتٍ عالٍ) هيه.. أنت يا شمام.. ماذا تفعل هناك؟ تعال هنا.

شمام : (من خارج المسرح) لن أعود حتى أقبض عليه.

ننورتا : (يدخل متسللاً) تعال إذن اقبض عليّ هنا (إلى صديقيه) لا تخافا منهما.. إنهما غبيان أيضاً.

شمام : (من خارج المسرح) سأقبض عليك أيها الجرذ الصغير الملعون (يدخل إلى المسرح لاهثاً، يهرب ننورتا مرة أخرى).

شواف : (ينظر في إثرهما أيضاً) لقد اختفى.

سماع : من الذي اختفى؟

شواف : (الصغير يا غبي ينظر) ها؛ ... ما هذا؟

سماع : ماذا أيضاً؟

شواف : لقد عاد.

سماع : من الذي عاد؟

شواف : شمام

سماع : ومعه الصغير.

شواف : لا..

شمام : (يدخل لاهثاً متعباً) أنتما أيها الغبيان لم لا تفتشان عنه بدل وقوفكما هنا كأبلهين.

سماع : وهذان.. ماذا نفعل بهما؟..

ننورتا : (يدخل متسللاً من بين الأشجار) أنتما أيها الغبيان لم لا تلحقان بي.. حاولا، إن أردتما، وستكتشفان أنكما أبلهان فعلاً (يثيرهما فيلحقان به دون أن ينتبها لاوبار واورننكال اللذين لاذا بالفرار من الجهة الأخرى).

شمام : غبيان وأحمقان (يصرخ بهما) عودا إلى هنا أيها الغبيان (يعودان) ماذا فعلتما ها؟ لقد منحتما الشياطين فرصة للهرب.

سماع : أكاد لا أصدق أننا لا نستطيع القبض على أطفال صغار مثل هؤلاء.

شواف : يبدو لي أن كل أرزة ، هنا ، تتآمر معهم ضدنا فتخفيهم عن أنظارنا.

شمام : سأقترح على العظيم خمبابا أن يقطع أشجار الغابة كلها حتى لا يختفوا خلفها أو يحتموا بها.

شواف : وما نفع هذا المكان بلا أشجار يا غبي.. أنسيت لماذا اختار خمبابا غابة الأرز مسكناً له دون غيرها من غابات الأرض؟ لماذا؟

شمام : هذا سؤال بحاجة إلى جواب فعلاً.. مع أنني لم أعثر، حتى الآن على جواب.

سماع : (يتنصت) هشـ... شـ... ش... إ صمتا (يصغي باهتمام).

شمام : ها ؟ ماذا تسمع ؟

سماع : وقع أقدام.

شواف : الشياطين الصغار مرة أخرى؟

سماع : لا.. أقدام كثيرة وثقيلة.

شمام : هذا يعني أن موكب العظيم خمبابا سيمر من هنا.

سماع : إذن.. ليلزم كل منكما محله ولا يبرحه.

شواف : ولكن ماذا سنقول له حين يسألنا عن المشاغبين في الغابة.

شمام : (ببلادة) نقول إننا لم نقبض عليهم بعد.

شواف : غبي.. إياك أن تقول هذا وإلاّ جعل جثتك تتأرجح متدلية من أعلى شجرة أرز في الغابة (ينظر باتجاه الموكب) لقد وصل موكبه المهيب (إلى سماع) سماع.. انفخ في بوقك معلناً عن مقدمه الميمون.. انفخ حالاً (سماع يتناول البوق المعلق في محزمه. ينفخ فيه يدخل موكب خمبابا إلى خشبة المسرح من وراء الستارة البيضاء يظهر خياله على الستارة وهو كائن نصف بشري ونصف حيواني. محمولاً على أكتاف أتباعه ينزلونه في منطقة خيال الظل ويدخلون إلى الخشبة. يقوم قائد

أتباعه بالتحدث إلى الآخرين نيابة عنه كلما أعطاه الإشارة فهو يفهم ما يريده خمبابا بالضبط).

القائد : (بعد إيماءة خمبابا) هل قبضتم على مثيري الشغب والفوضى.

شمام : (مرتبكاً) ليس بعد يا سيدي (يقفل فمه بيده لا إرادياً).. اعني.. اعني سنقبض عليهم يا سيدي (خمبابا يومئ).

القائد : ماذا كنتم تفعلون إذن.. ترقصون وتغنون معهم لتثيروا الضجة والصخب في أرجاء الغابة (يشير إلى شمام) أنت.. تعال هنا..

شمام : (إلى سماع) أنت يا سماع.... القائد يناديك..

سماع : (متهرباً) بل يناديك أنت.

القائد : تعال هنا يا غبي يتقدم شمام (بخوف وارتباك مضحكين).

شمام : أ.أ. أ.أنا يا سيدي.

القائد : من غيرك يا أبله (خمبابا يقف فينحني الجميع. تبدو هيئته في خيال الظل ضخمة جداً ومخيفة جداً. يخرج من وراء الستارة البيضاء. يقف شامخاً على دكة في أعلى وسط المسرح فيبدو مهيمناً على المكان. القائد يسحب سيفه فيفز شمام بشكل يثير الضحك. يشير القائد إلى اثنين من الأتباع فيمسكان به كل من يد). سأجعل من رأسك الفارغة هذه طعاماً لغربان الغابة.. وسأقطع جسمك قطعة قطعة وألقي بها إلى الوحوش المفترسة الجائعة.. كيف تجرأت وقلت في حضرة خمبابا أنك لم تقبض عليهم (يرفع صوته فيفز خمبابا من نومه) أتخالف أوامر العظيم خمبابا.. أمسكوه بقوة خمبابا يومي للقائد فيتوقف الأخير عن تنفيذ الحكم). حسناً... لقد عفا عنك العظيم فلا ترتكب حماقة أخرى أيها التابع.

شمام : لن أرتكب حماقة أخرى يا سيدي..صدقني سأفعل ما تأمرني به فقط.

القائد : ما يأمرك به العظيم خمبابا ، فقط، يا غبي.

شمام : (يردد بآلية) ما يأمرني به العظيم خمبابا، فقط، يا غ... يضع يده على فمه مذعوراً.. مرتكباً.. يحاول الاعتذار.. يضطرب. يتحرك بشكل مثير للسخرية والضحك)...

القائد : (بغضب واضح) اقبضوا على كل من أقض مضجع العظيم خمبابا حالاً..

شمام : حالاً ياسيدي (يهم بالانصراف)..

القائد : توقف يتوقف يجمد في محله. يقترب القائد منه. خمبابا يومئ). أمركم العظيم خمبابا أن تستمتعوا معنا قليلاً قبل الشروع بتنفيذ مهمتكم.. الآن لتدخل العرافة (خمبابا يتثاءب).

شمام : (ينادي) لتدخل العرافة عزف على الطبول، تدخل العرافة ومعها مجموعة من الراقصين تؤدي معهم رقصة شبه وثنية طقوسية في نهايتها يسجد الراقصون لخمبابا ويظلون هكذا حتى تنتهي العرافة من طقوسها.

العرافة : (بصوت جهوري مرتجف ومؤثر) إليك أيها العظيم خمبابا ما أَنْبَتَنْي به الرؤيا المقدسة (صمت) لقد رأيت في الليلة الماضية ريحاً عاتية ساقها شمش إليك.. وبينما أنت تصارعها انقض عليك بطلان من اوروك... يقال للأول كلكامش والآخر انكيدو... أرشدهما إليك صبي غر يعرف دروب الغابة كلّها يقال له ننورتا.. كدت تقضي عليهما وتسحق هامتيهما لولا أن القدر شاء خلاف ذلك.. فإن أردت الحفاظ على سلطانك، أيها العظيم خمبابا، اقتل ننورتا قبل أن يهتدي البطلان إليه ينهض خمبابا غاضباً.. يومئ لقائده. (ينحني الجميع).

القائد : (غاضباً هو الآخر)، ويل لك أيتها البلهاء من غضب العظيم خمبابا.. أية نبوءة غبية هذه؟.. كيف تجرؤين على قول ما قلت في حضرة سيدنا؟

العرافة : أنا لم أقل إلا ما قالته الآلهة العظام في الرؤيا المقدسة.

القائد : وما أدرانا أن رؤياك المقدسة هذه... صادقة؟

العرافة : الآلهة المقدسة لا تهب أهل الكرامات رؤى كاذبة.. لقد صدقت رؤياي من قبل فلم لا تصدق الآن؟

القائد : لم تكن رؤياك السابقة نذير شؤم، كهذه، أبداً، فلم تكونه الآن؟

العرافة : لأن هذه هي مشيئة الآلهة.

القائد : هل تخلت الآلهة عن العظيم خمبابا وهي التي منحته الخلود في الأبدية.

العرافة : أنّى لي أن أعرف، أنا الفانية، ما تفكر به الآلهة الخالدة.

القائد : عجباً.. إنها المرة الأولى التي لا تعرفين ما تفكر به الآلهة.

العرافة : أنا أعرف.. عندما تريدني الآلهة أن أعرف.... ولكن...

القائد : (مقاطعاً) ولكنها النهاية.. أليس هذا ما تريدين قوله الآن.

العرافة : سأسجد للآلهة العظام، في ليلي ونهاري، وسأطلب منها ضارعة أن ترأف بالعظيم خمبابا وأن لا يكون ما أنذرتني به هو النهاية.

القائد : اذهبي وتضرعي حتى تبدل الآلهة المصائر كلها (ينتبه لصوت أحد أتباعهم).

التابع : (ينادي من خارج المسرح لاهثاً) سيدي العظيم خمـ..بابا (يدخل. يركع). سيـ.... سيدي .... أيـ... أيها العظيم خمبـ.. بابا.... لقد... لقد قتل...عفريتك حارس بوابة الغا... بة...

القائد : اهدأ قليلاً وقل.... من قتله وكيف؟

التابع : رجلان من أوروك يقال للأول كلكامش والثاني انكيدو... انقضا عليه قبل أن يصل إلى سلاحه وقتلاه.

القائد : والبوابة المسحورة... ألم تشل قواهما؟

التابع : لما أراد انكيدو الدخول منها " شلت قواه فنادى على كلكامش وحذره من الدخول ولكن كلكامش شجع صديقه قائلاً:.. أبعدَ أن عانينا الصعاب وقطعنا هذا السفر البعيد نعود من حيث أتينا خائبين؟ أنت الذي مارست النزال والصعاب تشجع وكن بجانبي فتعود إليك شجاعتك ويفارقك الرعب والشلل"(1) .

القائد : وماذا بعد أيها التابع.

التابع : استعاد انكيدو قواه ودخل مع صديقه الغابة وحفرا فيها بئراً وراحا يتقربان إلى الآلهة ويتساءلان عن صبي نصحتهما والدة كلكامش، ننسون، العارفة بكل شيء، أن يهتديا إليه لأنه سوف يرشدهما إليك (خمبابا يشير باتجاه العرافة).

القائد : (إلى العرافة) هل سمعت يا عرافة السوء؟

العرافة : صه أيها القائد المغرور... ما نطقت به هو ما أنبأتني به الرؤيا المقدسة.

القائد : وهذا التابع الأمين (يشير إلى الرجل الذي جاءهم بخبر كلكامش

([1]) ملحمة كلكامش ترجمة الأستاذ: طه باقر ص 84.

وانكيدو) هل أنبأته الرؤيا المقدسة أيضاً؟ أم أنه رأى ما رأى بأم عينيه؟

العرافة : (تلتفت إلى أحد أتباعها وتهمس بغضب)، أمرتك أن تتخلص من هذه الحثالة... لِمَ لَمْ تفعل... انظر ماذا فعل بِنا الآن.

القائد : لماذا تهمسين، في الآذان، أيتها العرافة؟

العرافة : لأذكر أن لا أحد يستطيع تغيير مشيئة الآلهة إلا الآلهة.

القائد : أية مشيئة وأية آلهة (بغضب) أتسمّين دجلك هذا مشيئة؟ وادعاءك نبوءة يا عرافة الشؤم؟ (يصدر أمراً) أيها الحراس يا أتباع العظيم خمبابا. خذوا هذه الدجالة واجعلوها تبتلع نبوءتها إلى أبد الآبدين (يجرها الحراس إلى خارج المسرح ويطردون أتباعها).

العرافة : حذار من غضب السماء... حذار من غضب السماء... الجحيم الجحيم.

القائد : اذهبي إلى الجحيم أنت ونبوءتك الخرقاء (إلى شمام) اسمع يا.. أنت..

شمام : أمرك سيدي القائد.

القائد : اذهب وتحرّ عن أمر كلكامش (شمام يهم بالخروج بينما يفكر القائد في أمر ما)، يا...

شمام : شمام ياسيدي

القائد : اسمع يا شمام.. دع أمر كلكامش الآن، واقبض على ننورتا.. ولا تتوانى في ضرب من يتحدى إرادة خمبابا.. اجلد الصغير والكبير.. اقتل كل من يقف في طريق بحثك عنه واحرق من يتحدى مشيئة سيدنا.. لا نريد رقصاً في الغابة ولا غناء... من لا يحفظ لسانه اقطعه أيها التابع... هل فهمت.. اقطعه.

شمام : فهمت يا سيدي..

القائد : إذن.. نفذ مهمتك حالاً.

شمام : حالاً ياسيدي

(إظلام)

*

[في جانب آخر من الغابة كلكامش وانكيدو نائمان وخلفهما، في مؤخرة المسرح، على السايك، صورة جبل تغطي الخلفية كلها. تدخل ننسون والدة كلكامش وفي يدها مبخرة تضعها قرب رأسي كلكامش وانكيدو ثم تتقدم إلى أسفل وسط المسرح.. تركع للإله خاشعة متضرعة متوسلة.. الإضاءة تظل خافتة على العموم أو مركزة على البقع التي يتواجد عليها الممثلون....]

ننسون : (ترفع يديها صوب الشمس) "علام أعطيت ولدي كلكامش قلباً مضطرباً لا يستقر؟ والآن حثثته فاعتزم سفراً بعيداً ليلاقي خمبابا في نزال لا يعرف عاقبته وسيسير في طريق لا يعرف مسالكها... فإلى أين يذهب ويعود ... وحتى يبلغ غابة الأرز ويقتل خمبابا المارد ويمحو من على الأرض كل شر يمقته.. عسى عروسك أي أن تذكرك باليوم الذي ترجعه فيه ولتوكل به حراس الليل والكواكب وأباك سين) حين تحتجب أنت في المساء"[2].

تأخذ المبخرة وتتقدم من انكيدو. تشير له فيجلس دون أن يصحو من نومه). " ها إنني ائتمنتك على ولدي فأرجعه إليَّ سالماً "تنزع من عنقها قلادة وتضعها في عنق انكيدو) ارجع إليّ كلكامش سالماً.. ارجع إلي كلكامش.. كلكامش.. ارجع إلي كلكامش.. كلكامش.. كلكامش.. يختفي صوتها تدريجياً).

كلكامش : يصحو ببطء. ينظر إلى صديقه انكيدو) يا صديقي.. انكيدو..(انكيدو يفز) " من ذا الذي أيقظني إن لم تكن أنت؟ يا صديقي رأيت رؤيا، رأيت أننا نقف في هوة جبل ثم سقط الجبل فجأة، وكنّا، أنا وأنت، كأننا ذباب صغار.. ورأيت في حلمي الثاني الجبل وهو يسقط ويمسك بقدمي... ثم انبثق نور وهاج.. طغى لمعانه وسناه على هذه الأرض فانتشلني من تحت الجبل وسقاني الماء فسر قلبي"[3].

---

[2] **ملحمة كلكامش ص 81.**

[3] **ملحمة كلكامش ص 82.**

انكيدو : " إن الجبل الذي سقط عليك هو خمبابا ونحن سنتغلب عليه ونقتله4.

كلكامش : صدقت يا صاحبي وأخي الذي لم تلده أمي.. يامن اصطفيت لتكون ملازماً لي وحريصاً على سلامتي... يامن منحته ننسون موثق أمومتها.. أعنِّي على تسلق هذا الجبل العالي لنبحث خلفه عن ننورتا العارف بطرق الغابة ومسالكها فما أخشاه هو أن يعرف خمبابا بسره فيرسل إليه نفراً من أتباعه قبل أن نصل إليه..

انكيدو : اطمئن يا صديقي.. إن الذي يعرف مسالك الغابة كلها لا يقتل بالسهولة التي تظن.

كلكامش : إنما أخشى عليه من اهل الغابة.

انكيدو : أهل الغابة؟! كنت أظنك تخشى عليه من أتباع خمبابا.

كلكامش : أنت لم تخبر السلطة، يا صديقي، ولا تعرف وسائلها.

انكيدو : ماذا تعني؟

كلكامش : أتباع خمبابا قساة لا يرحمون ولا يشفقون.. وحتى يتمكنوا من ننورتا فإنهم سوف يسومون أهل الغابة مرّ الهوان.. إذ ذاك سيعترفون وسيشون به فيسقط في قبضة خمبابا.

انكيدو : لا تظنن سوءاً بأهل الغابة يا صديقي كلكامش.. صحيح أن خمبابا جرّدهم من كل شيء... ومنع عنهم كل ما يرغبون ويحبون... إلا أنهم لا يزالون يغنون ويرقصون ليقضّوا مضجعه على الدوام.

كلكامش : يالجبروت هذا المارد الظالم وبالضعفه الشديد... أنك يا صديقي تملؤني غيظاً وغضباً عليه.. وحماساً للقضاء على كل شروره...

انكيدو : يا صديقي كلكامش ليس المارد خمبابا عدواً يسهل القضاء عليه كما تظن... أنسيت ما قاله شيوخ اوروك عن هيئته؟.. ألم يقولوا لك " إن بنيته غريبة مخيفة فمن ذا الذي يصمد إزاء أسلحته؟ والغابة تمتد عشرة آلاف ساعة مضاعفة في كل الجهات فمن ذا الذي يستطيع أن يوغل في داخلها.. أما خمبابا فزمجرته عباب الطوفان وتنبعث من فيه شواظ النيران ونفسه الموت5.

---

[4] **ملحمة كلكامش ص 85.**

[5] **ملحمة كلكامش ص 77.**

كلكامش : ولكننا توغلنا في الغابة يا انكيدو

انكيدو : وما الفائدة يا كلكامش إن لم نستطع الوصول إليه.

كلكامش : سنصل بالتأكيد وسيساعدنا ننورتا في العثور عليه

انكيدو : إذن هلم بنا يا صديقي نبحث عن ننوري خلف هذا الجبل.

كلكامش : حسناً ... هيا...

(إظلام)

*

[في ركن آخر من أركان الغابة نرى أتباع خمبابا وعلى رأسهم شمام وشواف وسماع وقد ألقوا القبض على أسرة ننورتا وعدد من سكان الغابة]

شمام : من لا يعترف يقتل.

الأب : أذن اقتلني أنا.

رجل1 : بل أنا.

رجل2 : لا تفعل هذا أرجوك.. إن كان لابد من أن تقتل أحداً... فاقتلني أنا..

شمام : سيكون لكم، هذا، جميعاً إن لم يدلنا أحد على مكانه.

الأب : لن يدلّكم أحد على مكانه.

شمام : سترى أنك مخطئ أيها الأب.. لأننا سنبدأ بك (يصدر أمراً) اجلدوه (يجلد بقسوة، يشير للجلاد بالتوقف. يتقدم منه)، ها.. هل تقوى على تحمل قسط آخر من الجلد؟ (الأب لا يجيب) أنت أضعف مما توقعت.. هيا تكلم... قل شيئاً أيها العجوز.. لن ينفعك صمتك.. إن لم ترحم نفسك لن نرحمك أبداً.. سأسألك للمرة الأخيرة.. في أي مكان اختبأ ننورتا؟! (الأب لا يجيب) ها؟... لا تريد أن تجيب إذن أنت مولع بالجلد أيها العجوز (يصدر أمراً) اجلدوه حتى يعترف (يستمر جلده حتى يغمى عليه فيشير لهم شمام بالتوقف. أحدهم يسكب على وجهه ماءً ليوقظه). سأتركك لترتاح قليلاً (بسخرية)، أيها البطل الضعيف (يتقدم من الأم التي لا تزال مربوطة على جذع شجرة الأرز)

وأنتِ؟ هل ستقاومين مثل زوجك يا سيدة؟!.. هل تريدين أن تكوني وقحة أيضاً؟ (لا تجيب) هل ستمتنعين عن الكلام؟ (الأم لا تجيب) لا أظن ذلك.. أنتِ فقط تجهلين أنّ العظيم خمبابا هو الذي أصدر أمراً باعتقال ولدكم ننورتا.

الأم : أعرف هذا.

شمام : ولكن لماذا؟ ها؟ هل تعرفين لماذا؟..

الأم : لا.

شمام : حسناً أنا أقول لك يا سيدتي.. لقد تسلل إلى غابتنا رجلان من أوروك يزعمان أنهما جاءا للقضاء على العظيم خمبابا، وأنهما لن يستطيعا الوصول إليه دون أن يرشدهما ننورتا فهو كأبيه.. يعرف طرق الغابة ومسالكها.

الأم : على ولدي أن يفعل ما يراه مناسباً.

شمام : المناسب يا سيدتي هو أن نأخذه، حالاً، ليمثل بين يدي العظيم خمبابا قبل أن يظفر به هذان المجنونان.. وبهذا تسدون لأنفسكم معروفاً وتتحاشون غضبة خمبابا على ولدكم.

الأم : هل قلت أنهما جاءا للقضاء على خمبابا؟

شمام : هذا ما يزعمانه.. ولكن هيهات فالعظيم خمبابا خالد بأمر الآلهة.. لا يجرؤ أحد على مسه بضرر.

الأم : (لنفسها) إذن ليحاولا.. وليباركهما الرب، وليسدد خطاهما حتى تجمعهما وننوري طريق واحدة.

شمام : كنت سأشفق عليك قليلاً، لولا لسانك الذرب هذا، اجلدوهما (تجلد بقسوة، يشير للجلاد بالتوقف قبل أن يبدأ بالجلدة الثالثة) هل عرفت ايتها العجوز كيف يكون لسع السياط؟ أعدك أن يكون الجلد المقبل أكثر أذىً إن امتنعت عن الكلام... مؤكد أنّ جثتك هذه لم تخلق من الحجر.. وحتى لو كانت كذلك فالسياط وحدها كفيلة بأن تجعلها تتفتت ثم تنطق.. الآن قولي لي وبسرعة، قبل أن يلهب السوط جلدك ثانية، أين يمكن أن أجد ننورتا؟

الأم : لا جواب لك عندي.

شمام : (يلوّح لها بالسوط) لكنك ستجيبين على أية حال.

الأم : ما من والدة، على هذه الأرض، يمكن أن تشي بولدها.

شمام : هذه ليست وشاية.. إنها أداء لواجب مقدس.

الأم : الواجب أن احمي ابني.

شمام : نعم.. بكل تأكيد.. وعليك، الآن، يا سيدتي، أن تحميه من شرور نفسه.

الأم : شرور نفسه؟ ماذا تعني؟!

شمام : أعني رغبته في الوقوف ضد إرادة خمبابا.

الأم : ننورتا لن يقف ضد أحد.

شمام : بل يقف.. ولهذا يجب أن نجده قبل أن يهتدي كلكامش إليه.

الأم : لتتخلصوا منه..لا.. لن يكون لكم هذا.. أنا أمه أيها التابع والأم تموت ولا تشي بابنها.

شمام : إذن... تتسترين عليه.. أتعرفين ما عقوبة مَن يتستر على مجرم.

الأم : ولدي ليس مجرماً.. أنتم المجرمون.

شمام : يا لك من امرأة ثرثارة.. ساقطع لسانك هذا.. وسأجعلك تبتلعين كلماتك الوقحة إلى أبد الآبدين.

الأم : افعل، ما شئت، يا تابع خمبابا (يسحب خنجراً من وسطه. يتقدم من الأم. يشهر الخنجر في وجهها. يسمع من خارج المسرح صراخ أوبار).

شمام : ما هذا؟!.. مَن القادم؟!..

شواف : هذا أنا شواف (يدخل مع اوبار) ألم أقل لكما أنني سأتمكن منه.

شمام : أحسنت يا شواف (إلى الأم) الآن.. لا حاجة بي لقتلك أيتها الأم.. سأقتل ولدك هذا.

الأم : لا.. أرجوك.. اترك ولدي واقتلني أنا.

شمام : أرأيتِ؟.. إنك لا تستطيعين رؤية ابنك مقتولاً.. حسناً.. سأشفق عليك فأكتفي بجلده لأرى إن كنتِ تستطيعين رؤيته وهو يئن من ألم السياط (يصدر أمراً) اجلدوه (يقومون بجلده فيستنجد بوالديه. الأم لا تقوى على سماع صراخ ابنها وهو يستنجد ويستغيث يتقدم منه شمام) لن أجعلهم يضربوك أكثر، أيها الصغير، إن أخبرتني عن مكان ننورتا.. هيا أيها الصغير.. قل أين نجد ننورتا؟

اوبار : شقيقي ننوري لن يجده احد.

شمام : (بلين) قل لنا عن مكانه وسترى أننا نجده بسهولة.

الأب : إياك يا ولدي أن تقول.. لا تقل شيئاً.. أي شيء.

شمام : لا تصغِ إليه فإنه يريدك أن تتعذب مثله.

اوبار : ما المانع من الكلام يا أبي.

شمام : (يجيبه قبل الأب) لا مانع أبداً.. دعه لحاله وكلمني أنا.

اوبار : عن أي شيء اكلمك؟

شمام : عن مكان ننورتا.

اوبار : فقط؟

شمام : فقط.

الأب : لا تفعل يا ولدي.

شمام : (غاضباً) اجعلوا هذا العجوز يبتلع لسانه المهذار.

اوبار : لا تفعلوا أرجوكم.. سأدلكم على ننوري.

الأب : لا تفعل يا اوبار.

اوبار : يا أبتي.. الجميع هنا يعرف مكان ننورتا.. إن لم أدلهم أنا فسيدلهم غيري.

الأب : لا.. لا أحد من سكان الغابة يشي بننورتا.

شمام : دعك منه فإنه يريد لك ولنفسه المزيد من الجلد.. ثم ألا ترى أنّ واجبك، كإبن، أن توقف عذاب ومعاناة والديك.

اوبار : نعم.

شمام : إذن.. دلنا عليه حتى نتوقف عن جلدهما (يراوغه) ثم أننا لا نريد إيذاء ننوري كما تعلم، فقط، نريد العثور عليه لنجنبه المشاكل.

اوبار : كما تشاء.

شمام : أنت ولد عاقل فعلاً.. الآن قل أيها الولد العاقل.

اوبار : يمكنك أن تجد ننوري في

الأم : (مقاطعة) لا.. لا يا ولدي.. لا تفعل أرجوك

شمام : أسكِتوا أو اقطعوا لسانها حالاً.

اوبار : لا تفعلوا بها شيئاً وإلاّ لن أخبركم أبداً.

شمام : حسناً توقفوا (إلى اوبار) قل بسرعة.. هيا قل.

اوبار : يمكنك...

شمام : (يقاطعه بسرعة ليصل إلى المهم) أن أجد ننورتا في...

اوبار : الغابة.

شمام : (يصاب بخيبة كبيرة) ماذا ؟ في الغابة ؟.. أين؟.. اسمع أيها الصغير.. الغابة تمتد مسافة عشرة آلاف ساعة في كل جهة.. فقل لنا بالتحديد في أي مكان يختبئ ننورتا؟

اوبار : إنه.. إنه (يسمعون صوتاً من خارج المسرح ينادي على شمام وهو أحد اتباع خمبابا)

التابع : شمام.. شمام (يدخل لاهثاً) لقد عثرت على ننورتا.. عثرت على ننورتا

شمام : (يتوقف الجميع لفرط المفاجأة) ماذا قلت أيها التابع؟.. عثرت على ننورتا؟ هل هذا ما قلته أيها التابع بالضبط؟

التابع : نعم.

شمام : أين؟

التابع : في الغابة مع كلكامش وانكيدو.

شمام : وماذا يفعل مع هذين الوحشين؟

التابع : حسنٌ.. هذا ما كنت بانتظاره.

سماع : (متدخلاً) ماذا تعني؟ أنظل بانتظارهم حقاً ؟.. مستحيل.. أنسيت أنهما قتلا أقوى عفاريت الغابة ودخلا من الباب المسحور؟

شمام : لم انسَ.. ولكنها فرصتنا.

سماع : أية فرصة؟

شمام : فرصة القبض عليهما.

شواف : (متدخلاً) ماذا؟ هل جننت؟.. لا.. لابد أنك جننت.

شمام : إنكما تحتاجان إلى مزيد من الدهاء حتى تتعلما كيف تروّضان وحشين مثلهما.. اسمعا.. ليمسك كل واحد منكما بواحد من هؤلاء.. أما أنا فسأمسك هذا الصغير.. أما أنتم (يخاطب أتباعه) فامسكوا البقية وضعوا خناجركم على رقابهم وانتظروا أمري (يدخل ننورتا أولاً ثم كلكامش وانكيدو. يفاجأون عندما يرون الخناجر على رقاب الجميع. يهم كلكامش بمهاجمتهم)

سماع : اسمع يا كلكامش وأنت يا انكيدو.. إن خطوتما خطوة أخرى نحونا

ذبحناهم جميعاً.

كلكامش : (وقد فهم ما يريدون) ماذا تريدون؟

سماع : نريد أن نأخذكم أسرى إلى العظيم خمبابا.

كلكامش : حسناً.. موافقون.

سماع : إذن.. قيدوهم (يتقدم عدد من أتباع خمبابا ليقيدوا كلكامش وانكيدو وننورتا)

كلكامش : لا.. ليس قبل أن تطلقوا سراح هؤلاء جميعاً

سماع : حسناً.. اتفقنا.. نقيدكم ونطلق سراحهم.

الأم : ولدي.. ننوري الحبيب.

اوبار : ننوري.. أنا آسف بشأن.

ننورتا : (يقاطعه) لا عليك يا اوبار.. وأنتِ يا أمي تشجعي فأنا مع كلكامش

الأم : ليحفظكم الرب جميعاً.

شمام : (يختلي بشواف وسماع) ماذا نفعل بهؤلاء؟

سماع : نذهب بهم أسرى إلى العظيم خمبابا.

شمام : اعتقدتك أكثر ذكاءً.. كيف نذهب بهم، إلى هناك، وهم يريدون ذلك.

سماع : ماذا نفعل بهما إذن؟

شمام : نقتل كلكامش وانكيدو ونأخذ ننورتا.

سماع : أنا موافق.

شواف : وأنا.. (بصبيانية) سأعلن قرار الحكم (يفتح ورقة وهمية ويقرأ) بناءً على الصلاحيات المخولة لنا قررنا نحن شواف وشمام وسماع النظر في قضية المتسللين كلكامش وانكيدو والخائن ننورتا.. وقد ثبت لنا بالبرهان القاطع أنهما معتزمان على اغتيال سيدنا العظيم خمبابا.. وبالنظر لثبوت الأدلة فقد قررنا قتل كلكامش وانكيدو وأسر ننورتا.

كلكامش : هل قررتم هذا فعلاً.

شواف : (ببلاهة) فعلاً.

كلكامش : هذا يعني أنكم ألغيتم الاتفاق من طرف واحد.

شواف : نحن لم نتفق على أي شيء.

كلكامش : كيف ؟.. ألم تقولوا أنكم ستأخذونا إلى خمبابا؟

شمام : هل ترانا أغبياء إلى هذا الحد؟

شواف : نعم..(مكرراً) هل ترانا أغبياء إلى هذا الحد؟

كلكامش : جنيتم على أنفسكم (إلى انكيدو) عليك بقيودهم يا صديقي (انكيدو يزأر زئيراً قوياً يجعلهم ينزوون في ركن بعيد وهم يرتجفون خوفاً. وبحركة عنيفة ورشيقة يقطع الحبال التي ربط بها ثم يفك وثاق كلكامش وننورتا بينما يلوذ أتباع خمبابا بالهرب)

انكيدو : (ينادي في أثرهم) قولوا لسيدكم إننا قادمون لتخليص الغابة من شروره (ينادي بصوت مرتفع) يا سكان الغابة تجمعوا وافرحوا وتهللوا وارقصوا فإنّ نهاية الظلم قد حانت (يتجمع اهل الغابة. موسيقى يرقص بعضهم بفرح غامر ويشكل بعضهم الآخر كورالاً غنائياً)

الكورال : من اجل أن نقضي على المذلّة
من أجل أن تنير غابتنا الأهلّة
من أجل أن نقضي على خمبابا
سنمتطي الأهوال والصعابا.

من أجل أن نقضي على الهوان
وننشر السلام والأمان
من أجل أن نطهر الشعابا
سنمتطي الأهوال والصعابا.

من أجل أن يصدح الأطفال بالغناء
نقاتل الأشرار والأعداء
نجند الشيوخ والشبابا
ونمتطي الأهوال والصعابا.

الكورس : أيها البطلان.. سنقاتل معكما لنقضي على خمبابا (يغادر كلكامش وصديقه. يلوّحون لهما مودعين بالأيدي) أيها البطلان ليحفظكما الرب وليجعل نصركما على الظلم نصراً مبيناً (يظلم المسرح تدريجياً).

*

[كلكامش وانكيدو وننورتا يسيرون في الغابة.. ينتقلون من مكان إلى آخر يشير لهم ننورتا على بعض الأمكنة فيتوقفون.. ثم يغذون السير مرة ثانية. يمر وقت مناسب على توغلهم في الغابة]

ننورتا : (يتقدم البطلين) استعدّا.. سندخل نفق الأرز.

كلكامش : (باستغراب) نفق الأرز؟!

انكيدو : هو النفق الشجري المظلم يا كلكامش.

كلكامش : وما أدراك يا انكيدو؟

انكيدو : لقد علمت بأمره، يا صديقي، مذ كنت أتجول مع الحيوان في التلال والبراري.

ننورتا : (يشير إلى النفق) هو ذا مدخل النفق.. هل أنتما مستعدان للدخول

كلكامش : مستعدان.

ننورتا : (برجولة) كونا يقظين.. ولا تغفلا فتنقض عليكما الوحوش الكاسرة.

انكيدو : لا عليك يا ننوري.. سنقضي على كل وحش يعترض طريقنا.. أما أنت فلا تتقدمنا حتى نخرج إلى الجهة الأخرى (يدخلون في الظلام ولا يرى منهم غير قفازاتهم الفسفورية المضيئة وبعض الإكسسوارات التي يستخدمها البطلان في مقاتلة الوحوش وربما أسنان الوحش أيضاً

كلكامش : هل أنت متأكد من الطريق يا ننوري؟

ننورتا : كل التأكيد يا كلكامش رغم أنني لم أعبر إلا مرة واحدة.

كلكامش : متى؟

ننورتا : عندما أراد أبي ذلك.

كلكامش : وهل نجح؟

ننورتا : ليس تماماً.. لقد جرح في ... (يسمعون صوت زئير قوي) يا إلهي.. إنه نفس الصوت الذي هاجم أبي.

كلكامش : ننورتا.. قف أنت وانكيدو خلفي والتصقا بالجدار حتى أتمكن من الوحش.

(نسمع صوت صراخ كلكامش والوحش. يتحول صوت الوحش إلى شخير ثم يتوقف. كلكامش ينادي على انكيدو وننورتا لاهثاً) لقد

انتهيت منه.. بإمكاننا مواصلة الطريق.

ننورتا : أحسنت يا بطل (يسيرون عبر الظلام حتى يسمعوا صوت وحش آخر)

انكيدو : ما هذا الصوت يا ننوري؟

ننورتا : إنه حارس النفق الشجري.. حذار يا انكيدو.. إنه وحش مفترس.

انكيدو : لا عليك يا ننوري.. أنا أعرف كيف أسيطر على الوحوش وأهزمها. (موسيقا تختلط مع صرخات انكيدو ثم نسمع خوار الوحش)

ننورتا : هل انتهيت منه يا انكيدو؟

انكيدو : نعم.

ننورتا : إذن نحن أمام بوابة النفق.. ضعا أيديكما على أعينكما حتى تتحاشيا قوة الضوء (يبدأ بالتوهج تدريجياً كلما تقدموا جهة البوابة. ومع اشتداده يكون الثلاثة في الغابة مرة أخرى).

كلكامش : الآن وقد عبرنا النفقَ الشجري المظلم.. أي اتجاه نسلك يا ننوري؟

ننورتا : (يشير بيده) هذا.

كلكامش : هل يوصلنا، هذا، إلى خمبابا؟

ننورتا : ليس قبل أن تقضيا على حارسي مسكن خمبابا.

كلكامش : حسن.. هيا بنا (يمشون في المسلك المؤدي إلى مسكن خمبابا.. يوقفهم صوت قوي)

الصوت : من الذي جرأ على الوصول هنا بغير أمر مني؟.. أياً كنت يا هذا فإنك هالك لا محالة.

كلكامش : بل أنت الذي سوف يهلك.. أيها الرعديد.

الصوت : صوت من أسمع ؟ كلكامش؟

كلكامش : هو أنا أيها الرعديد.

الصوت : وهل معك صديقك المتوحش انكيدو؟

انكيدو : نعم.. جئت لأقضي عليك (ينقض الوحشان على البطلين بشكل مفاجئ وكأنهما هبطا بسرعة مذهلة من السماء. يمسك كل واحد منهما بأحد البطلين. يدور بينهم صراع عنيف ينسحبون إلى ما وراء الكواليس. ننورتا يراقبهم بانفعال من على خشبة المسرح)

ننورتا : (قافزاً بفرح وانتصار) بورك فيك يا كلكامش وأنت يا انكيدو.. بورك

فيكما أيها البطلان

انكيدو : (داخلاً إلى المسرح) كلكامش يا صديقي لم يبق أمامنا إلا خمبابا فدعني أتقدم عليك.

كلكامش : حسناً يا انكيدو.. أما أنت يا ننوري فقف بعيداً وتجنب الأذى.

ننورتا : حسناً.. سأفعل

كلكامش : هيا يا انكيدو لنبدأ بقطع هذه الأشجار التي تسور مسكن خمبابا (يبدأ البطلان بقطع الأشجار بفأسيهما يمر وقت مناسب عليهما وهما يقطعان الأشجرر بنشاط وحيوية. صوت تقطع الأشجار يستفز خمبابا فيستيقظ من رقدته)

صوت خمبابا : (هائجاً. غاضباً. متثائباً. مزمجراً) [من الداخل المتطفل الذي كدّر صفو الغابة وأشجارها النامية في جبلي؟ ومن ذا الذي قطع أشجار الأرز؟]

كلكامش : هذا أنا كلكامش أيها المارد.. وهذا خلي وصاحبي انكيدو.. جئنا لنقضي عليك.

صوت خمبابا (يقهقه بصوت مضخم) ها ها ها ها هو هو هو هو... (يقطع ضحكته) أنتما ميتان.

كلكامش : اخرج لنا وسترى.

خمبابا : (يظهر على خشبة المسرح) ها أنذا خرجت.. ماذا يمكنكما أن تفعلا أيها البائسان (البطلان لا يتقدمان، ينظران إلى هيئة خمبابا باستغراب وشيء من الخوف. يهجم عليهما خمبابا وهو يضحك منهما مستهزئاً ساخراً يمسك بخناقهما. كلكامش يحاول أن يستل سيفه لكن السيف يسقط منه. ينادي على ننورتا)

كلكامش : ننورتا.. ناولني سيفي (ننورتا يتردد قليلاً: ينظر إلى خمبابا بخوف. يتراجع. يشجعه كلكامش لا تخف يا ننوري.. تشجع (يستجمع ننوري قواه. يتقدم نحو السيف. يرفعه بصعوبة ويقترب منهم)

ننورتا : خذ يا كلكامش.. خذ (كلكامش يتناول السيف بصعوبة. يغرزه في خاصرة خمبابا فيصرخ صراخاً قوياً

خمبابا : (ينتزع السيف من خاصرته بجلد) سأقضي عليكما الآن (صوت جلبة وضوضاء من خارج المسرح. يدخل أهل الغابة وقد تقدمهم الأب)

الأب : بل نحن الذين سنقضي عليك أيها المارد الظالم.. يا سكان الغابة.. اهجموا عليه (يهجمون على خمبابا بمختلف الأسلحة والأدوات الزراعية. يلوذ خمبابا بالفرار)

انكيدو : (الذي تحرر من قبضة خمبابا) لنلحق به.

كلكامش : هيا يا صديقي لنلحق به ونقضي عليه.

الأب : دعكما منه أيها البطلان.. هزيمته تكفي.

كلكامش وانكيدو : (معاً) لن تكفي.. سيزرع شروره أينما حلّ.. وسيجعل الظلام يخيم ثانية على هذه الغابة.

الأب : لا.. لن يخيم الظلام وقد أشرقت، على الغابة ، بفضلكما شمس لن يطفئها خمبابا بعد الآن (ثم بأسلوب خطابي إلى أهل الغابة) يا أهل الغابة.. يا أهل الغابة.. افرحوا وتهللوا واعلموا أن الليل مهما طال.. يأتي النهار.. الليل مهما طال.. يأتي النهار (موسيقى. أهل الغابة يغنون بصوت جماعي واحد):

الليل مهما طال.. يأتي النهار
الليل مهما طال.. يأتي النهار
يأتي النهار
يأتي النهار
يأتي النهار
يأتي

(تسدل الستارة قبل نهاية الأغنية)

كانون الثاني – 1996

مسرحية
متوالية الدم الثانية

شخوص المسرحية:

المخترع، المساعد، المساعدة

أستاذ1، أستاذ2، أستاذ3، أستاذ4

المتطوع1، المتطوع2

رجل1، رجل2

عالم1، عالم2، عالم3، عالم4

عدد من الأتباع والحراس

[على الجدار المواجه لجمهور النظّارة علّق شعار، أكاديمية العلوم، بحجم يتيح لمن يجلس، في آخر الصالة مشاهدته بوضوح. تحته كتب بخط واضح (جناح التجارب والبحوث) وتحتها (شعبة الدماغيات). على الجدار نفسه وفوق المنضدة التي تمتد مع امتداده هناك شاشة (سكرين) كبيرة وشاشتان صغيرتان وفرن تكاثر. على الجدارين الأيمن والأيسر تمتد الخزائن وفوقهما أجهزة ومعدات ولوازم طبية مختلفة. الجدران الثلاثة تعزل عن الخشبة بوساطة مسطحات سلايد ذاتية الحركة. كرسيّان آليّان في وسط المسرح ربط عليهما المتطوعان الأول والثاني. على أسفل يمين الخشبة قضبان ومشبكات حديدية هي بمثابة قفص أمان لحجز حيوانات التجارب. وعلى أسفل يسارها ثبتت أزرار كثيرة وأجهزة تحكّم مختلفة يمكن للمسارح التي أجهزة تحكمها بالإضاءة لا تزال يدوية وضع جهاز السيطرة (الدمير) تحت تصرف المخترع الذي سيكون متواجداً هناك أغلب الوقت.

عندما تفتح الأضواء نرى المخترع (بالملابس البيض) والمساعدين (بالملابس الخضر) والمتطوعين (بالملابس البيض) ومجموعتين من العلماء والأساتذة تجلس الأولى على أسفل يسار الخشبة التي تتقدم خشبة المسرح الكبيرة، وتجلس الثانية على أسفل يمينها.. مع الموسيقى يقوم المخترع بتحريك المسطحات التي تحجب الجدران الثلاثة تحريكاً آليّاً بواسطة جهاز التحكم عن بعد " REMOTE CONTROL"..]

المخترع : (إلى مساعديه) الآن سنبدأ.. هل أنتما جاهزان؟

المساعدان : (معاً) نعم (يقوم أحدهما بإنزال جهاز الإشعاعات من فضاء المسرح ليستقر فوق الكرسيين مباشرة)

المخترع : وحدة الإشعاع جاهزة؟

المساعدة : نعم.

المخترع : وجهاز النقل؟

المساعد : جاهز هو الآخر.

المخترع : حسن.. اجعل السعة الخزينية لجهاز التحفيز على أقراص CD-ROM 6050 ميكابايت وانتظر الإشارة (إلى مجموعة العلماء والأساتذة الجالسين أسفل يسار وأسفل يمين الخشبة الصغيرة) العملية كما سترون، أيها السادة والسيدات، تنجز بمرحلتين: في المرحلة الأولى نقوم بتحفيز منطقة (بايرنك) (يشير بعصا صغيرة إلى منطقة بايرنك التي ظهرت على الشاشة الصغيرة الأولى ضمن نموذج إيضاحي لجغرافية الدماغ) وهي، كما تعرفون، مختصة بالاستيعاب، بوساطة جهاز التحفيز الصوتي المبرمج . وفي المرحلة الثانية نقوم بنقل الدم ، نقلاً سريعاً متوالياً متزامناً، مع التحفيز. وهاتان المرحلتان المختلفتان والمتزامنتان، لا يمكن القيام بهما باستخدام الأجهزة التقليدية لأنهما تحتاجان إلى برمجة غاية في الدقة والتعقيد.

انظروا، الآن، إلى دماغي هذين المتطوعين (تظهر صورة الدماغين على شاشة السكرين الكبيرة) الدماغ الأول يتمتع بتفوق في المجالات المعلوماتية بينما لا يتمتع الثاني بأي تفوق يذكر، علاوة على إصابته ببعض التخلف. راقبوا ما يحدث عندما أقوم بتشغيل الجهازين (يعطي الإشارة للمساعدين فيقومان بتشغيل الجهازين. يصدر عن جهاز التحفيز صوت صفير حاد يشتد شيئاً فشيئاً. ومع اشتداده تزداد الشحنات الكهربائية الخارجة من الدماغ الأول والداخلة إلى الدماغ الثاني. ويظهر جلياً تأثر التلافيف الدماغية بتلك الشحنات. نرى على الشاشة الصغيرة الثانية التخطيط الخاص بالدماغين) لاحظوا سرعة خزن المعلومات في (بايرنك) الثاني.. وراقبوا كيف يستغلها ويخزنها بدقة تفوق أي كمبيوتر على الخزن السريع والدقيق (ثم بلهجة خطابية) سادتي العلماء.. يسعدني جداً أن أضع هذين الجهازين(يشير إلى الجهازين) في خدمة البشرية جمعاء.. وكلي ثقة بأنهما سيحققان لعالمنا قفزة عقلية وحضارية هائلة.. ولكم أن تقرروا صلاحيتهما قبل عرضهما على المؤتمر العلمي لعموم أقطار الكرة الأرضية (تصفيق)

عالم1 : (وهو واحد من مجموعة العلماء الجالسين يسار الخشبة الصغيرة) اختراعك هذا يضعنا أمام امتحان صعب وعسير من الناحية العملية

لأنه يقوم أساساً على وحدة العقل البشري .. كيف يمكن أن نتصور وضع البشرية وهي تفكر وتعمل وتقرر وتبدو كأنها ضغطت في عقلية واحدة .

المخترع : المستوى العقلي الواحد لا يلغي بنية التطور في العقلية البشرية.. واختراعي سيوفر الفرصة للتقدم والتطور الكبيرين في كل أرجاء المعمورة.

عالم2 : (وهو واحد من مجموعة العلماء الجالسين أسفل يمين الخشبة الصغيرة) ولكنك بهذا تتمذج العقلية البشرية.

عالم3 : لا بأس في هذا إذا كان الخيار موفقاً.

عالم4 : أعتقد أن المسألة أعقد من هذا بكثير إن نحن أردنا اختيار عقلية متكاملة متفوقة.. أنا أقترح، أن سمحتم لي، وهذا أمر قد يكون سابقاً لأوانه فالجهازان لم يعرضا بعد على المؤتمر العلمي لعموم أقطار الكرة الأرضية، بلورة أنموذج خاص مأخوذ من مصادر متعددة نلاقح بينها ثم نبدأ بالنقل والتناسخ.

عالم5 : مع ذلك تظل مشكلة الناس قائمة.

المخترع : أي مشكلة؟

عالم5 : مشكلة رفضهم التخلي عن خزينهم الذاكراتي.

المخترع : تجربتنا لا تمحو من خزينهم الذاكراتي شيئاً.. إنها مختصة بمنطقة (بايرنك) فقط والنموذج الجديد يختزن معلومات جديدة دون أن يفقد، في المقابل، معلومات مختزنة، ويصحح المعلومات الخاطئة دون أن يلغيها.. ثم أن مناقشة الأهداف والنوايا سيكون من نصيب المؤتمر العلمي الدولي الذي سيقرر الطريقة والاختيار.

أستاذ1 : (وهو عميد أكاديمية العلوم.. ينهض موجهاً حديثه إلى المخترع ومجموعة العلماء) لا ينبغي عرض هذين الجهازين على المؤتمر الدولي، ولا ينبغي استغلالهما دولياً قبل أن نحقق المجتمع المنشود في بلادنا.. نحن سنكون قوة مثال هائلة للبشرية.. والعالم كله سيكون مديناً لنا بشكل أو بآخر.. إما بالنسبة للاختيار فأمره أسهل مما تتصورون بكثير (ينبعث من جهاز النقل صوت المنبه فينظر المخترع إلى ساعته)

المخترع : سيدي عميد أكاديمية العلوم.. عذراً لمقاطعتك.. لقد انتهى وقت النقل الآن.

أستاذ1 : حقاً ؟ بهذه السرعة !.. عظيم.. عظيم جداً.. تفضل.

المخترع : (إلى المساعدة) هل الإشارة في جهاز النقل ثابتة عند الصفر؟

المساعدة : نعم.

المخترع : إذن افتحي الأربطة (تقوم بفتح الأربطة. ثم إلى المساعد) افتح جهاز التحفيز الصوتي (يفتح الجهاز بينما يقوم المخترع برفع جهاز الإشعاعات بواسطة جهاز التحكم اليدوي. تفتح الأضواء) خذوهما إلى غرفة الاستشفاء بالذبذبة وأعيدوهما، إلى هنا، لإجراء الاختبار (يهمان بالخروج فيوقفهما بإشارة منه. ثم إلى المساعدة) ناولني جهاز التحفيز لو سمحت يا دكتور.

المساعد : (يناوله جهاز التحفيز) تفضل.

المخترع : شكراً لك.. يمكنكما الخروج (يخرجان وهما يدفعان أمامهما الكرسيين بوساطة جهاز تحكم يدوي صغير. المخترع يعود لمحاورة عميد الأكاديمية) أعتذر لك ثانية سيادة العميد لمقاطعتي إياك.. أظن أنك قلت: إن الأمر أسهل مما نتصور بكثير.

أستاذ1 : نعم.. ولكنني أرى تأجيل، هذا الأمر إلى ما بعد الاستشفاء.

المخترع : كما تريد سيدي (ثم) الاستشفاء ، كما تعلم ، لا يتطلب سوى لحظات قصيرة سأفترض خلالها أن الأمور سارت على ما يرام وصار بالإمكان نقل أي عقلية إلى الآخرين.. كيف سنفرض أو بالأحرى كيف نقنع الآخرين بقبول فكرة التحول إلى المجتمع الجديد الموحد عقلياً؟

أستاذ1 : بالتوعية والتثقيف.

المخترع : أنت متفائل جداً يا سيدي العميد.. مجتمعنا اليوم ليس كمجتمع الأمس.. إنه متحضر ومتطور ولكنه في الوقت نفسه يكره التغييرات السريعة.

أستاذ1 : لا عليك أيها المخترع.. سأتكفل الأمر بنفسي حالما تبدأ الخطوة الأولى.

المساعدة : (تدخل مع زميلها المساعد) لقد تم الاستشفاء يا سيدي.

المخترع : هل هما على ما يرام؟

المساعدة : نعم.

المخترع : أحضراهما، إلى هنا، لإجراء الاختبار (يخرجان ثم يعودان ومعهما المتطوعان وبوساطة أجهزة التحكم اليدوية يدخلان كرسيين آليين ليجلس عليهما كل متطوع في جهة من جهتي المسرح ثم يضع كل مساعد على أذني المتطوع الذي يقف بقربه جهاز حجب الصوت لكي لا يتسنى للمتطوعين سماع أحدهما الآخر وهو يجيب على أسئلة المخترع. المساعدة تضع الجهاز، أولاً، على أذني المتطوع الثاني. المخترع يتقدم من المتطوع الأول) أجبني يا بني بكلمة واحدة فقط ما الذي جعل الإنسان إنساناً؟

المتطوع1 : (مفكراً) العمل

المخترع : (يتوجه إلى المتطوع الثاني يشير إلى مساعدته فترفع عن أذنيه الجهاز ليتسنى له سماع السؤال) وأنت يا بني.. أجبني أيضاً.. ما الذي جعل الإنسان إنساناً؟

المتطوع2 : (يفكر) العمل.

المخترع : (يتوجه إلى المتطوع الأول) من جعل الليل ليلاً.. والنهار نهاراً؟

المتطوع1 : التعاقب.

المخترع : (يتوجه إلى الثاني فترفع المساعدة جهاز حجب الصوت من على أذنيه) هه وأنت بماذا تجيب؟.. من جعل الليل ليلاً والنهار نهاراً؟

المتطوع2 : التعاقب.

المخترع : (بسرعة) ما زينة المرء؟

المتطوع1 : العقل.

المخترع : ما زينة المرء؟

المتطوع2 : العقل.

المخترع : من منحك الثقة بنفسك؟

المتطوع1 : التوازن؟

المخترع : وأنت.. من منحك الثقة بنفسك؟

المتطوع2 : التوازن.

المخترع : أحسنت.. الآن يمكنكما الانصراف.. شكراً لكما (يخرجان بأدب جم.

ثم إلى مجموعة العلماء) لنعد ثانية إلى مسألة الاختيار.. شخصياً أضم صوتي للمقترح القائل ببلورة نموذج خاص مأخوذ من مصادر متعددة.. نلاقح بينها ثم نبدأ بالنقل والاستنساخ.

أستاذ1 : لا تضيعوا وقتكم أيها السادة.. لقد حسم الأمر وتم الاختيار (صمت) الجميع ينظرون إليه باستغراب ثم بهدوء وثقة) لا أظن أحداً منكم يرفض أن تكون عقلية المجتمع الجديد متناسخة من عقليتي أنا.

المخترع : (يصاب بالدهشة) ولماذا عقليتك أنت يا سيدي.

أستاذ1 : لنقل أنه وفاء لدين.

عالم1 : هذا أمر يحتاج إلى قرار جماعي.

أستاذ1 : الأمر لا يحتاج إلى قرار.

المخترع : بل يحتاج.. عندما يتعلق الأمر بما ستؤول إليه عقول الآخرين فإنه يحتاج إلى قرار جماعي.

أستاذ1 : هل أفهم من هذا أنك تستبعدني يا حضرة المخترع.

المخترع : بصراحة.. نعم.

أستاذ1 : ولكن الأمر لم يعد بيديك.

المخترع : أنا مخترع هذا الجهاز (يشير إلى جهاز التحفيز الصوتي).

أستاذ1 : بالتأكيد.. لا أحد يقول خلاف هذا.. ولكن لكل إنجاز علمي طرفان.. حالما ينتهي عمل الأول يبدأ عمل الثاني.

المخترع : وأنت يا سيادة العميد.. هل تعتبر نفسك طرفاً في الإنجاز

أستاذ1 : أنا من يقرر ويختار ويوافق على وضع جهاز التحفيز الصوتي أو أي جهاز آخر قيد الاستعمال.

المخترع : ألهذا تقدم نفسك على الجميع؟

أستاذ1 : لأنني أريد صالح الجميع.

المخترع : كيف؟.. باختيار عقليتك نموذجاً لهم؟

أستاذ1 : بالضبط.

المخترع : سيادة العميد.. أنت واهم.

أستاذ1 : ماذا تعني؟

المخترع : أنا.. أستبعدك من التجربة.

أستاذ1 : لن تستطيع.. المجتمع الجديد.. مجتمعي أنا.. ثم أتعتقد أنني وضعت

ميزانية الأكاديمية تحت تصرفك للاشيء؟

المخترع : إذن.. أنت تريد الثمن.

أستاذ1 : لنقل.. أنك بدأت تفهمني.

المخترع : بل قل.. بدأت أعرفك على حقيقتك.

أستاذ1 : حذار أيها المخترع.. لن تستطيع فعل أي شيء على الإطلاق. إلا بوساطتي هل فهمت؟

المخترع : لم أفهم سيدي العميد.

أستاذ1 : سأجعلك تفهم (يتقدم باتجاه المخترع) العملية التي قمت بها، الآن، تكمن خطورتها في الوجهة التي سيَسير عليها المجتمع الجديد.. وأنا لا أريد أن يتعرض مجتمع كمجتمعنا للاضطراب.. لهذا يجب أن يتحكم به شخص راجح العقل ليقوده بحكمة على طريق التقدم والإنسانية.

المخترع : مع شديد احترامي لشخصك ، يا سيدي ، أرى أنك غير مؤهل للقيام بكل هذا.

أستاذ1 : أنت لا تعرفني كما ينبغي.

المخترع : السنوات التي قضيتها في هذه الأكاديمية جعلتني على معرفة بكل شخصية من شخصياتها.

أستاذ1 : إن كنت كذلك حقاً.. لم تستبعدني؟.. أليس في هذا بعض الجحود؟

المخترع : بل قل بعض الإنصاف.

أستاذ1 : الإنصاف في استبعادي ؟.. أي إنصاف هذا يا حضرة المخترع.

المخترع : أنا لا أريد أن أحملك وأحمل نفسي مسؤولية لا طاقة لنا بها.. أنت تدرك، طبعاً، ما سيحصل للأجيال المقبلة إن لم يكن الاختيار موفقاً.

أستاذ1 : أنا سأتكفل بكل شيء.

المخترع : إذن أنت مصر على طلبك.

أستاذ1 : نعم.. لأني لا أجد من هو أكثر نفعاً مني للمجتمع الجديد.

المخترع : هذه أنانية الفرد في الاستحواذ على ما يخص الجماعة.

أستاذ1 : بل هي حكمة المرء في أن يرى صورة سلوكه في الآخرين ليطمئن أخيراً على أن السلوك الجديد سيكون إيجابياً.

المخترع : الإيجابية لا تعني قولبة السلوك على نمط معين.

أستاذ1 : أنت تتمادى، كثيراً،

المخترع : أنا مخترع هذا الجهاز (يشير إلى جهاز التحفيز الصوتي) ومن حقي أن أفرض إرادتي كي لا يستخدم اختراعي لأغراض شخصية.

أستاذ1 : جحودك يجعلني أغير طريقة تعاملي معك.

المخترع : ماذا تعنى؟

أستاذ1 : سترى (يتقدم باتجاه المخترع وقد استشاط غضباً، وقبل أن يصل إلى منتصف المسافة يقاطعه أحدهم وسنطلق عليه تمييزاً له رجل 1).

رجل1 : مهلاً سيادة العميد (يتوقف العميد في محله. يستدير) أجبني حالاً.. بأي حق تختار نفسك وتفرضها على المجتمع الجديد؟

أستاذ1 : خدمتي للعلم والعلماء ومسؤوليتي، في هذه الأكاديمية، كعميد.. لولاي لم يستطع أحد أن ينجز ما أنجز.. أليس هذا كافياً يا حضرة الـ..

رجل1 : السكرتير.

أستاذ1 : يا حضرة السكرتير.

رجل1 : لا.. ليس كافياً يا حضرة العميد.. أقولها لك وللمخترع وللجميع.. لقد نسيتم جميعاً من يقرر ومن يختار (يتقدم رجل 1 من المخترع ويقف إلى جانبه) الآن سنبدأ البداية الصحيحة (يخرج من جيب معطفه هاتفاً خلوياً ويطلب رقماً . الجميع منبهرون بما يفعل) سمو الأستاذ.. كل شيء جاهز كما توقعت.. بالضبط.. إطمئن.. حسناً.. نحن بانتظارك (إلى الجميع) سيطل علينا سموه وسيختار من يختار ويرفض من يرفض.. باسمه أحذر من أي تصرف لا يليق بمكانته بيننا (إلى العميد) أما أنت يا سيادة العميد.. ونظراً لتجاوزك على صلاحيات سمو الأستاذ.. فقد تقرر إيقافك حتى يبت الأستاذ بأمرك.

المخترع : أيها السيدان.. ألا تريان أنكما تتصرفان وكأن كل شيء عائد لكما.

رجل1 : إن كان كلامك موجهاً لي، يا سيدي، فاسمح لي أن أقول أنك على خطأ كبير.

المخترع : لماذا؟

رجل1 : لأني لم أرد شيئاً لنفسي.

المخترع : ماذا تعني؟

رجل1 : سمو الأستاذ، يا سيدي، أحق منك ومني بامتلاك أمورنا.

المخترع : عن أي أمور وأي أستاذ تتحدث؟

رجل1 : أستاذي وأستاذك.. بل أستاذنا جميعاً.. إنه السيد رئيس جامعة العلوم الطبية.. الجامعة التي فتحت لك أبوابها واحتضنت تجاربك كلها (المخترع يعترض فيقاطعه السكرتير) أرجوك يا سيدي.. أنت موضع احترامه.. فلا تفرط باحترامه لك (يدخل الأستاذ رئيس الجامعة، مع اثنين من مرافقيه وسنطلق عليه اختصاراً أستاذ 2).

أستاذ2 : (داخلاً) صه يا أنت.. المخترع لا يفرط باحترام أحد.. وهو جدير باحترام الجميع.. (إلى المخترع) أهنئك أيها المخترع العظيم على إنجازك الرائع وأقر أمام الجميع أنكَ دخلت التاريخ من أوسع أبوابه وإني أمنحك الموافقة على تسجيل اسمك، في حفل خاص، على لوح الخالدين.

المخترع : شكراً سمو الأستاذ.

أستاذ2 : لنتحدث، الآن، بما هو أهم من كلمات الشكر والمجاملة.

المخترع : هل أفهم أن الأستاذ يلمح إلى مسألة الاختيار.

أستاذ2 : بالضبط.. وهذا ما جئت من أجله الآن.. ولا أخفي إني انتظرت، هذه اللحظة، مذ كانت تجربتك مجرد فكرة استنتجها عالم طموح من مسرحية خيالية، لقد شاهدت أنا، كما شاهدت أنت، عرض مسرحية صباح الأنباري، متوالية الدم الصماء، ولم يفتني الانتباه إلى الاختيار الملائم الذي اهتدى إليه كاهن المسرحية في اللحظة المناسبة.

المخترع : إلى أي شيء يرمي سمو الأستاذ؟

أستاذ2 : إلى الاختيار طبعاً.

المخترع : هل أفهم من هذا(يقلد صوت الأستاذ السابق) أن الإختيار قد تمّ وأن الأمر قد حسم؟

أستاذ2 : بالضبط.

المخترع : كيف؟.. كيف يمكن أن يتم، هذا، بدوني؟

أستاذ2 : يمكن في حالة واحدة.

المخترع : أية حالة؟

أستاذ2 : عندما تكون العقلية المختارة هي (يتوقف قليلاً. يبتسم) عقليتي أنا.

المخترع : ولكنّا، يا سيدي ، اقترحنا بعض المواصفات التي لا تنطبق على

عقلية سموّك.

أستاذ2 : خطأ.. ما فعلتموه خطأ كبير.. أنكم تجهلون ما سيؤول إليه المجتمع الجديد من دون نظام جديد.. لقد جئت لأقول لكم اطمئنوا فصورة المجتمع الجديد ونظامه هنا (يشير إلى رأسه) في هذا الرأس.

المخترع : ترى هل فكر سمو الأستاذ، أيضاً، بالوسيلة التي تقنع الناس بفكرة تغيير عقلياتهم.

أستاذ2 : أجل.. لقد فكرت بكل صغيرة وكبيرة حتى أصبحت صورة العالم واضحة أمام عيني.

المخترع : إذن.. بشكل أو بآخر أنت تريد امتلاك العالم.

أستاذ2 : بالضبط (متداركاً) أعنى إسعاد العالم عن طريق إزالة الفوارق العقلية والطبقية وجعل العقلية السائدة اجتماعياً مرتكزة على عقليتي أنا.

المخترع : حتى وإن كانت عقلتيك غير ملائمة لهذا العالم؟

أستاذ2 : نعم.

المخترع : سمو الأستاذ (بحده) أنت تطلب المستحيل.

أستاذ2 : هذا يعني أنك تتحدى إرادتي.

المخترع : هل الدفاع عن مصائر الناس تحد لإرادتك؟

أستاذ2 : أنا أكثر معرفة منك بهؤلاء الناس وبمصائرهم، ولهذا حين أفرض عقليتي عليهم فأنني أدرك، تماماً، أن ما أقوم به لخدمتهم جميعاً.

المخترع : بل لخدمتك أنت.

أستاذ2 : كيف؟

المخترع : عندما تجعل من عقليتك أنموذجاً لهم يعني منحك فرصة السيطرة على عقولهم وتوجيهها الوجهة التي تشاء.

أستاذ2 : أليس هذا في صالحهم أيضاً؟

المخترع : بل في صالحك أنت.

أستاذ2 : لا فرق.. لا فرق أبداً.. لهذا يمكنك المباشرة بعملك فوراً.

المخترع : أي عمل؟!

أستاذ2 : نقل عقليتي إلى الآخرين.

المخترع : وإن رفضت.

أستاذ2 : لن ترفض.

المخترع : ألهذا الحد أنت واثق من عدم رفضي؟

أستاذ2 : بل أكثر من هذا أيها المخترع.

المخترع : (يفكر قليلاً) حسن.. إذن سأقوم بعملي (يبدأ بالتحضيرات وكأنه سيقوم بالعملية فعلاً، الأستاذ الجديد يراقبه باهتمام ودقة).

أستاذ2 : (وقد أدرك نوايا المخترع) وغد.. كنت أعرف أنك وغد حقير.. لم يتبادر إلى ذهني أن عالماً، مثلك، يمكن أن يتحول إلى قاتل (بتهديد) اسمع.. ستقوم بالنقل الآن.. وسيشرف مرافقي، هذا، (يشير إلى أحد المرافقين) على عملك كله فلا تحاول معي شيئاً.. وتذكر أن مرافقي هذا (يشير للمرافق الآخر) لا يرحم القتلة.. الآن سنبدأ.

أستاذ3 : (وهو يسير بين الجمهور في الممر المؤدي إلى الخشبة) أوقفوا هذا الرجل المعتوه (المرافقان يرتبكان لمرأى الأستاذ الجديد فيوقفان أستاذهم ويزجان به داخل قفص حيوانات التجارب (إلى المخترع) أهنئك أيها المخترع العظيم على إنجازك الرائع وأقر، أمام، الجميع، أنك دخلت التاريخ من أوسع أبوابه.

المخترع : (بآلية) شكراً سمو الأستاذ.

أستاذ3 : لنتحدث، الآن، بما هو أهم من كلمات الشكر والمجاملة.

المخترع : إلام يلمح سمو الأستاذ.

أستاذ3 : إلى الاختيار طبعاً.

المخترع : (يكرر عبارات الأستاذ السابق بآلية واضحة) وهذا ما جئت من أجله الآن.

أستاذ3 : بالضبط.

المخترع : هل أخطأ أن قلت إنك لا تريد أن تخفى حقيقة انتظارك هذه اللحظة مذ كانت تجربتي مجرد فكرة خطرت في ذهني وأنا أشاهد عرض المسرحية الصامتة (متوالية الدم الصماء)؟

أستاذ3 : بالضبط.. إنك تتحدث وكأنك في عقلي أنا.

المخترع : أستطيع القول أيضاً.. إن الاختيار قد تمّ وأن الأمر قد حسم.

أستاذ3 : عظيم.. رائع.. إنك عالم حقاً.

المخترع : ولكن، يا سيدي، كيف يتم الاختيار ويحسم الأمر من دون موافقتي ؟

أستاذ3 : يتم، فقط، عندما تكون العقلية المختارة للمجتمع الجديد هي عقليتي

أنا.

المخترع : هل تعتقد سمو الأستاذ أنك أنموذج ناجح للمجتمع الجديد.

أستاذ3 : وهل تعتقد أنت خلاف هذا.

المخترع : إن سمحت، لي، أن أكون جريئاً، في حضرتك، سأقول....

أستاذ3 : (يقاطعه وكأنه فهم ما سيقوله المخترع) لا حاجة بك إلى القول.. اسمع.. ليس لدي وقت أضيعه في القول.. سنقوم بالعملية الآن وسأكون نموذجاً للمجتمع المنشود.. هيا.. لنبدأ البداية الصحيحة.

المخترع : لن تكون البداية صحيحة دون دراسة مستفيضة واختيار سليم.

أستاذ3 : ليس الاختيار من اختصاصك أيها المخترع.

المخترع : اعرف.. إنه من اختصاصنا جميعاً.

أستاذ3 : لا.. ليس من اختصاصكم على الإطلاق.. إنه اختصاص الجهات العليا.

المخترع : عندما يتم الاختيار بقرار من أية جهة كانت فهذا يعني أنه اختيار محدود.

أستاذ3 : صحيح.. ما تقوله صحيح جداً.. وهو يفسر الكيفية التي أتوخى فيها سلامة النموذج المقترح.

المخترع : وإذن.

أستاذ3 : عليك أن تقوم بالعملية.

المخترع : على أي نموذج عقلي مقترح؟

أستاذ3 : عليّ أنا أيها المخترع.. هكذا تكون بدايتنا صحيحة وسليمة.

المخترع : وإن رفضت.

أستاذ3 : لا أحد، قبلك، استطاع أن يرفض لي أمراً.

المخترع : أنا أرفض.

أستاذ3 : اسمع يا حضرة المخترع (يقترب من المخترع مفسراً).. قراري لا يمثل رغبتي الشخصية.. بل رغبة اجتماعية عامة.

المخترع : لا.. لا أصدق.

أستاذ3 : عليك أن تصدق.

المخترع : لا أستطيع.

أستاذ3 : إذن.. نفذ ما أقوله لك.

المخترع : أنفذ ماذا؟

أستاذ3 : إرادتي في جعل المجتمع الجديد...

رجل2 : (ينهض من بين الجمهور، يوجه كلامه إلى أستاذ 3 وإلى المخترع معاً، أوقفا هذه المهزلة (ينتبهان إليه. يصعد إلى الخشبة. يوجه كلامه إلى أستاذ 3) من أعطاك الحق حتى تتصرف وكأن كل شيء خاضع لإرادتك.. أنسيت نفسك حتى صرت تقرر وتحسم مالا حق لك في تقريره وحسمه.

أستاذ3 : (إلى المرافقين) أوقفا هذا المجنون.. (يتقدم المرافقان نحو الرجل. وإذ يشعر أن موقفه صار حرجاً ينظر باتجاه جمهور النظاره ويقترب منهم موجهاً نداءه إلى أحدهم).

رجل2 : أما آن لك أن تنهض وتوقف هذه المهزلة يا سيدي.. لقد عيل صبري وأنا أتابع هذه الكوميديا البلهاء (الجميع يحاولون معرفة الشخص الذي نهض من بينهم وتوجه إلى الخشبة بصحبة أربعة رجال مسلحين وخامسهم يحمل في حضنه كلباً صغيراً من تلك التي يبدو عليها الدلال. الأربعة يتجمعون من أماكن مختلفة من الصالة. الرجل يخلع القناع الذي تنكر به وهو يرتقي خشبة المسرح. أستاذ 3 ينسحب بإرادته ويدخل قفص حيوانات التجارب ومعه المرافقان. فريق العلماء والأساتذة يقفون احتراماً للقادم الجديد وربما خوفاً ومهابة أو تطبيقاً لأصول تقليدية تعارفوا عليها.. صمت مطبق يسود الصالة والخشبة).

أستاذ4 : (يتجول بين الوجوه بصمت. يقف أمام المخترع. يبتسم له) أيها المخترع.. لقد قمت بعمل عظيم وإنجاز رائع.. لقد قدمت لنا خدمة لنا ننساها لك أبد الدهر.. و قدمت لي الراحة والطمأنينة وصفاء، البال.

المخترع : (مندهشاً) أنا.. يا سيدي!؟

أستاذ4 : نعم أنت يا أفضل مخترع أنجبه التاريخ.. المجتمع العلمي كله.. ورئاسة الجامعة بأسرها والمحافل والمنتديات العلمية قاطبة سيقيمون الحفلات والكرنفالات، على مدى شهر من الآن، ابتهاجاً بإنجازك العظيم.. وفرحاً بما سيمنحه لنا اختراعك الرائع.

المخترع : سيدي الكريم.. هذا ثناء كثير.

أستاذ4 : ليس كثيراً على من قدم الكثير.

المخترع : شكراً لك يا سيدي.

أستاذ4 : (يوجه كلامه إلى الأساتذة السابقين) ماذا دهاكم حتى نسي الواحد منكم أن مسؤوليته تحتم عليه أن لا ينسى ماله وماعليه.. ألم يخطر ببال أي منكم أن ما يقوم به يعد خيانة واستهتاراً بشرف المهنة (إلى الجميع) لقد جئت خلسة، إلى هذا المكان، لأرى بنفسي كيف تتصرفون إزاء حالة كهذه.. وها أنا أكتشف خيانتكم (إلى المخترع) أحسنت يا حضرة المخترع إذ ماطلت هذه الزمرة.

المخترع : لكني لم أقصد...

أستاذ4 : (مقاطعاً) مع ذلك.. أنت قمت بما يمليه عليك واجبك كعالم، وضميرك كإنسان.

المخترع : (مستبشراً) سيدي الكريم.. هل أفهم من هذا أنك موافق على عرضي.

أستاذ4 : من منا لا يوافق على عرضك أيها المخترع العظيم.

المخترع : الآن، فقط، أشعر بالارتياح.. كنت خائفاً إلى الحد الذي كاد خوفي يقضي عليّ.

أستاذ4 : (مداعباً) والآن.

المخترع : أشعر بالطمأنينة.

أستاذ4 : هذا شعور طبيعي.. من يمنح الطمأنينة ينال الطمأنينة.. أنت منحتها لنا باختراعك العظيم.. وأنا أمنحها لك بحسم الاختيار.

المخترع : (مصعوقاً) هل تعني، يا سيدي، أن الاختيار قد تم وأن الأمر قد حسم أيضاً.؟

أستاذ4 : (يقهقه، يتقدم نحو المخترع، ينظر إليه) كلّا.

المخترع : (يدهشه الرفض) ماذا.. أقلت كلّا يا سيدي؟

أستاذ4 : أعتقد أنك سمعتني أيها المخترع.

المخترع : سمعتك فعلاً. ولكنك فاجأتني.

أستاذ4 : ولمَ فاجأتك؟

المخترع : لأنك لم تختر عقليتك كنموذج للمجتمع الجديد.

أستاذ4 : وهل تراني مغفلاً إلى هذا الحد.. كهؤلاء (يشير إلى أستاذ 1و 2و 3).

المخترع : أنت تحيرني يا سيدي حتى لا أكاد أفهم ما ترمي إليه.

أستاذ4 : ما أرمي إليه أكبر من أن يفهم بسهولة.

المخترع : وإلام ترمي يا سيدي.

أستاذ4 : إلـى مجتمـع لاعـداء فيـه، ولا اضـطراب، ولا جحـود، ولا تمـرد، ولا رفض.

المخترع : (بتأكيد) مجتمع فاضل، وسعيد، ومتكافئ، ومتطور، علمياً وحضارياً.

أستاذ4 : بالضبط.

المخترع : هذا هو عين ما نطمح إليه كعلماء وكبشر.

أستاذ4 : أهدافنا واحدة دائماً.. ولكن وسائلنا إليها مختلفة أحياناً.

المخترع : لا تهمني الوسيلة ما دامت توصلني إلى الهدف.

أستاذ4 : وهذا ما أريده أيضاً.

المخترع : حسن.. وما المطلوب مني يا سيدي.

أستاذ4 : أن تبدأ العملية حالاً.

المخترع : ولكننا لم نختر العقلية بعد.

أستاذ4 : ألم أقل أن الاختيار قد تمّ وأن الأمر حسم.

المخترع : أجل.

أستاذ4 : إذن قـم بالعمليـة دون تـدخل بمسـألة الاختيـار (شـلة الأسـتاذ تحـيط بالمخترع بشكل يوحي بالتهديد إن هو رفض الانصياع للأمر).

المخترع : (متردداً، مضطرباً، خائفاً) حسن... سأقوم بها ولكن (ينظر في وجوه الرجال الأربعة) على دماغ من؟!

أستاذ4 : على دماغ هذا (يشير باتجاه الرجل الذي يحمل كلبه المدلل)

المخترع : (في حيرة أكبر) هذا مَن؟

أستاذ4 : كلبي المدلل.

المخترع : (غير مصدق) كلبك المدلل؟ (الأستاذ لا يجيب) أقلتَ كلبك يا سيدي!

أستاذ4 : سمعت ما قلت.

المخترع : لا .. لا شك أنك تمزح (بتأكيد) يقيناً أنك تمزح.

أستاذ4 : أنا لا أمزح أبداً.

المخترع : وأنـا لا أصـدق أبـداً أنّ سـموك يختـار عقليـة كلـب لتكـون أنمـوذج المجتمع الجديد.

أستاذ4 : هذا ما يتطلبه المجتمع الجديد.

المخترع : بل ما تطلبه أنت.

أستاذ4 : اخرس.. وافعل ما آمرك به فقط.

المخترع : (متصنعاً الانصياع لأستاذ 4) وبماذا تأمرني.

أستاذ4 : البدء بالنقل فوراً.

المخترع : وإن رفضت.

أستاذ4 : لم يسبق أن رفض لي أحد أمراً (المسلحون يحيطون بالمخترع في وضع تهديد).

المخترع : وأسفاه.. لم أعرف قبل الآن فداحة الخطر الجسيم الذي صنعته بنفسي.. أما وقد أدركت الآن هول ما فعلت فإني أرفع حمل اختراعي عن كاهل البشرية (يسرع نحو التقاط جهاز التحفيز ليدمره).

المساعد : (وقد أدرك ما ينوي المخترع فعله يصرخ بالمسلحين) أطلقوا النار (يطلقون النار على المخترع حال بلوغه جهاز التحفيز).

المخترع : (يترنح.. يتماسك قليلاً.. ينظر إلى مساعده بمرارة) حتـ.. تى.. أنـ.. أنت.. يا... (يسقط ميتاً. يسود الظلام خشبة المسرح. بقعة ضوء دائرية فقط تستمر فترة على المخترع مع استمرار موسيقى مارش جنائزي).

أستاذ4 : (بحدة وغضب مقاطعاً جو الحداد الذي خيم على خشبة المسرح) افتحوا الأضواء (يضاء المسرح) اخلوا المكان من هذه النتانة (يقوم اثنان من الحراس بجر الجثة إلى خارج المسرح. أستاذ 4 يتقدم من المساعد. يضع يده على كتفه مشجعاً) أحسنت صنعاً أيها المواطن المخلص الشريف (يبتعد عنه. يستدير. يأمره) إبدأ بالنقل حالاً.

المساعد : (بانصياع كلي وخضوع) حالاً سيدي (إلى المساعدة) أنت يا دكتورة ستقومين بمساعدتي وستعملين على الجهازين في آن.. مفهوم.

المساعدة : مفهوم يا (تقلد طريقة كلامه مع الأستاذ) سيدي.

المساعد : حسن.. (المساعدة تقوم بعملها كما في التجربة الأولى. المساعد إلى الرجل الذي يحمل كلب الأستاذ 4) دع الكلب يجلس على هذا الكرسي (ثم إلى أستاذ 3) سنبدأ بك أيها الأستاذ.. تفضل اجلس على هذا الكرسي.

أستاذ3 : (متردداً مرتبكاً) ولم لا تبدأ بغيري (المساعد لا يجيب) أرجوك.. ابدأ

بغيري.

المساعد : ما الفرق يا حضرة الأستاذ. الكل مشمول بهذه التجربة وعلى رأسهم أنت.

أستاذ3 : (أكثر اضطراباً) ولـ.. ولكن.. كيف؟ عقليتي!.. كلب.. لا.. لا أرجوك.

المساعد : وماذا في ذلك يا حضرة الأستاذ. الكلب أكثر وفاء من البشر.

أستاذ3 : ولـ.. ولكن.. أ.. أ.. أنا؟.. أنا.. كي.. كيف؟!.

أستاذ4 : اجلس أيها الكلب بلا اعتراض (أستاذ 3 يجلس مستسلماً، طائعاً، خائفاً، مرتبكاً ونظراته تتوسل الجميع وتراقب المساعد وحركاته بدقة واهتمام ولكن بذعر كبير) تطفأ الأضواء على المسرح إلا بقعة ضوء تظل متوهجة على الكرسيين.. تتوهج البقعة أكثر حالما يضغط المساعد على أحد الأزرار فيتم النقل. يفتحون الأربطة ينهض أستاذ 3 يتنحى جانباً من المسرح وهو ينبح مثل كلب الأستاذ 4.. أستاذ 2 و 1 وبقية العلماء. يساقون بالقوة نحو كرسي النقل.. عملية النقل من الآن فصاعداً يقوم بها المساعد بسرعة كبيرة وبطريقة (البانتومايم). ويكتفي بأن يجلس الشخص على الكرسي وتتوهج بقعة الضوء بشكل خاطف لينهض الشخص، بعدها، وينضم إلى من سبقه ويبدأ معه النباح بطريقة الكلب المدلل، وإذ ينتهي المساعد من الأساتذة والعلماء يتقدم أستاذ 4 إلى مقدمة الخشبة الصغيرة موجها كلامه إلى جمهور النظارة).

أستاذ4 : (بخبث ودهاء) الآن جاء دوركم أنتم.. (يهبط المسلحون بسرعة ويسوقون الصف الأول من الجمهور نحو كرسي النقل. بعضهم يتذمر. بعضهم يتقدم بخوف ومع قهقهات أستاذ 4 وسخريته منهم يزداد اللغط في الصالة ويشتد صوت النباح كلما انتهى المساعد من مجموعة جديدة. المسلحون يسوقون الصف الثاني والثالث والرابع وصوت النباح يشتد أكثر فأكثر حتى يصبح مقززاً ومضجراً ومنفراً وهو يتضخم أكثر فأكثر باستخدام مكبرات الصوت المبثوثة في كل أرجاء الصالة. عدد كبير من الجمهور يولي وجهه هارباً إلى خارج الصالة، يلمحهم أستاذ 4 فيصرخ بهم (زاعقاً):

إنّى هربتم فإن كلابي تدرككم.

(يشتد النباح والضجيج واللغط بينما تعلو قهقهات أستاذ 4 وصوته عبر مكبرات الصوت يردد):

إنّى هربتم فإن كلابي تدرككم

أنّى هربتم فإن كلابي تدرككم

هاهاهاهاهاه

الفهرس

مسرحية ليلة انفلاق الزمن.....5

مسرحية عندما يرقص الأكفال.....77

مسرحية متوالية الدم الثانية.....125

***

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

ليلة انفلاق الزمن: مسرحيات صائتة / صباح الأنباري-
دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2001 -
163ص؛ 20سم.

1- 812.008 أ ن ب ل 2- 812.009563 أ ن ب ل
3- العنوان 4- الأنباري

ع- 2001/6/1135 مكتبة الأسد

صباح الأنباري

*كاتب وناقد مسرحي

*من مواليد 1952 العراق -ديالي

*بكالوريوس فنون مسرحية- أكاديمية الفنون الجميلة- بغداد

*عضو اتحاد الكتاب العرب.

عضو اتحاد الأدباء والكتاب في العراق.

*عضو نقابة الفنانين العراقيين.

*صدرت له عن دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد (طقوس صامتة) وهي مجموعة مسرحيات صائتة وصامتة.

*نشر العديد من المقالات النقدية في الصحف المحلية والعالمية.

***له كتب جاهزة للطبع:**

-السهل والجبل (نقد)

-ارتحالات في ملكوت الصمت (مسرحيات صامتة).

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة ١٧٥ ل.س في القطر
٢٢٥ ل.س في أقطار الوطن العربي

اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق

صباح الأنباري

*كاتب وناقد مسرحي

*من مواليد 1952 العراق -ديالي

*بكالوريوس فنون مسرحية- أكاديمية الفنون الجميلة- بغداد

*عضو اتحاد الكتاب العرب.

عضو اتحاد الأدباء والكتاب في العراق.

*عضو نقابة الفنانين العراقيين.

*صدرت له عن دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد (طقوس صامتة) وهي مجموعة مسرحيات صائتة وصامتة.

*نشر العديد من المقالات النقدية في الصحف المحلية والعالمية.

***له كتب جاهزة للطبع:**

-السهل والجبل (نقد)

-ارتحالات في ملكوت الصمت (مسرحيات صامتة).

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة ١٧٥ ل.س في القطر
٢٢٥ ل.س في أقطار الوطن العربي